يون جابريال بوركمان

مسرحية لهنريك إبسن

ترجمة: شرين عبد الوهاب وأمل رواش

مراجعة: د.سامية لويس ، د. إيمان عز الدين، انجيارد يوسف، د.عصام عبد العزيز

يون جابريال بوركمان

مسرحية من أربعة فصول
هنريك إبسن

KØBENHAVN
GYLDENDALSKE BOGHANDELS FORLAG (F. HEGEL & SØN)
GRÆBES BOGTRYKKERI
1896
JOHN GABRIEL BORKMAN(1896)

الشخصيات
يون جابريل بوركمان، مدير بنك.
السيدة جونهيلد بوركمان، زوجته
الطالب إيرهارت بوركمان، ابن السيد بوركمان
الآنسة إيللا رينتهايم، شقيقة السيدة بوركمان التوأم.
السيدة فاني ويلتون.
فيلهالم فولدال، كاتب في مكتب حكومي.
فريدة فولدال، ابنته.
خادمة السيدة بوركمان.

تجري الأحداث في ليلة شتاء في مزرعة آل رينتهايم، خارج العاصمة

الفصل الأول

(غرفة معيشة السيدة بوركمان، أثاثها من طراز قديم . هناك باب جرار يفضي إلى شرفة زجاجية تطل على حديقة يبدو أنها تتعرض لعاصفة ثلجية مع غروب الشمس الآفلة. وبالجدار الأيمن باب يفضي إلى غرفة المعيشة. في المقدمة مدفأة كبيرة قديمة من الحديد نيرانها مستعرة .إلى اليسار نحو الخلف قليلا باب أصغر، وفي المقدمة في نفس الجانب نافذة مغطاة بستار سميك. بين النافذة والباب أريكة مكسوة بنسيج من شعر الخيل وأمامها منضدة مغطاة بمفرش سميك من الطراز القديم عليها مصباح مضيء. وأمام المدفأة كرسي بذراعين ظهره مرتفع.)

(تجلس السيدة جونهيلد بوركمان على الأريكة تشتغل الكروشيه. وهي سيدة عجوز ذات مظهر بارد وأنيق. حركتها متيبسة وملامح وجهها جامدة وقد خط الشيب شعرها الكث، يداها جميلتان ورقيقتان وترتدي ثوبا من الحرير الغامق اللون يشي بأنه كان في الماضي ثوبا أنيقا أما الآن فيبدو باليا، وتضع على كتفيها شالا من الصوف.)

(تجلس السيدة بوركمان لبعض الوقت منتصبة دون أن تتحرك وبجوارها الكروشيه ثم يسمع بالخارج جرس عربة عابرة. تنصت.)

السيدة بوركمان: (تنصت، وعينيها تلمعان من السعادة وتهمس بشكل لا إرادي) إيرهارت هنا! أخيرا!

(ثم تنهض وتنظر من خلف الستار ويبدو عليها خيبة أمل، فتجلس على الأريكة مرة أخرى وبجوارها الكروشية، تدخل الخادمة من البهو تحملبطاقة على صينية صغيرة.)

السيدة بوركمان: (بسرعة) الطالب جه وللا لسة برضه؟

الخادمة :لأ لسة ماجاش يا هانم. لكن فيه واحدة تحت ....

السيدة بوركمان: مين مدام ويلتون ....

الخادمة: لأ، دي واحدة غريبة.

السيدة بوركمان: (تتناول البطاقة) وريني كده ..... (تنهض بسرعة وتنظر للخادمة باهتمام) إنتي متأكدة ان الرسالة دي ليا؟

الخادمة: أيوه. بيتهألي حسب ما أنا فهمت إن الرسالة دي لحضرتك.

السيدة بوركمان: هي طلبت إنها تتكلم مع مدام بوركمان؟

الخادمة: أيوه، هي قالت كده.

السيدة بوركمان:(باقتضاب، وبإصرار) طيب قوليلها إني موجودة.

(تفتح الخادمة الباب للسيدة الغريبة وتخرج. تدخل الآنسة إيللا رينتهايم غرفة المعيشة، وهي تشبه شقيقتها إلا أن تعبيرات وجهها تنم عن معاناة و يشي مظهرها بأنها كانت تتمتع بجمال خاص في شبابها، وقد سرحت شعرها المتموج الأشيب الفضي بشكل طبيعي فانسدل على جبهتها. ترتدي ثوبا من المخمل الأسود و قبعة ومعطفا مبطنا بالفرو ومن نفس النسيج.)

(تقف الشقيقتان في صمت لبعض الوقت وهما تحدقان في بعضهما البعض. ويبدو أن كلتيهما تنتظر من الأخرى أن تبادر بالحديث.)

إيللا رينتهايم: (التي ظلت واقفة بالقرب من الباب) إيه شكلك مستغربة كده ليه يا جونهيلد.

السيدة بوركمان : (تقف بين أريكة والمنضدة،وتستند بأطراف أصابعهاعلى المفرش) هو إنتي جيتي هنا غلط وللا إيه؟ ناظر العزبة ساكن في المبنى اللي جنبنا زي ما إنتي عارفة.

إيللا رينتهايم:لا ..أنا مش عايزة ناظر العزبة النهاردة.

السيدة بوركمان: آه يعني عايزة تقابليني أنا؟

إيللا رينتهايم: أيوه. كنت عايزة أتكلم معاكي شوية.

السيدة بوركمان:(تتقدم للأمام) طيب ..... اتفضلي اقعدي.

إيللا رينتهايم: لا شكرا. أنا هافضل واقفة.

السيدة بوركمان: زي ما تحبي لكن على الأقل اقلعي البالطو بتاعك.

إيللا رينتهايم: فعلا (تفك أزرار معطفها) الجو هنا حر جدا.....

السيدة بوركمان:بس أنا دايما باحس بالبرودة.

إيللا رينتهايم: (تظل واقفة وقد أسندت ذراعيها على ظهر مقعد ذو ذراعين وتنظر إليها لبرهة) فات تمن سنين من آخر مرة شفتك يا جونهيلد.

السيدة بوركمان:(ببرود) تقصدي من آخر مرة اتكلمنا فيها.

إيللا رينتهايم: فعلا.مر وقت طويل من آخر مرة اتكلمنا، أيوه .... إنتي كنتي بتشوفيني كل فين وفين.... لما كنت باضطر أجي هنا كل سنة عشان أقابل ناظر العزبة.

السيدة بوركمان: يعني.. حوالي مرة أو مرتين.

إيللا رينتهايم أنا على فكرة لمحتك كام مرة كده، هناك، في الشباك.

السيدة بوركمان: ياه!! أكيد شفتيني من ورا الستاير. عشان إنتي نظرك كويس قوي. (بقسوة وبحزم) بس آخر مرة اتكلمنا فيها مع بعض ... كانت هنا.... في الصالون ....

إيللا رينتهايم: (تقاطعها) أيوه ، أيوه. أنا عارفة يا جونهيلد!

السيدة بوركمان: ... في الأسبوع اللي قبل... خروجه من السجن.

إيللا رينتهايم: (تمشي عبر الغرفة) لو سمحتي ماتتكلميش في الموضوع ده!

السيدة بوركمان: (بحزم، ولكن بصوت منخفض) كان ده في الأسبوع اللي قبل..... مايفرجوا عن مدير البنك تاني .

إيللا رينتهايم: (تتقدم للأمام) أيوه، أيوه ، أيوه! أنا عمري ما هانسى الفترة دي أبدا! وباتضايق جدا لما بافكر فيها! مجرد التفكير فيها ولو للحظة... أوه!

السيدة بوركمان: (بكآبة) ومع كده عقلي مش عايز يفكر في حاجة تانية. (بانفعال وتعقد يديها) لأ، أنا مش فاهمة، لا يمكن ! مش قادرة أفهم ، إن حاجة زي دي..... حاجة بشعة زي دي ممكن تحصل لعيلة بسيطة! تخيلي .... عيلتنا إحنا! عيلة محترمة زي عيلتنا! تخيلي إن حاجة زي دي ممكن تحصل لعيلتنا إحنا بالذات!

إيللا رينتهايم : يوه يا جونهيلد ... الموضوع ده سبب ضرر لأسر كتير غير عيلتنا.

السيدة بوركمان: أيوه. لكن أنا مايهمنيش اللي حصل للناس دي. الموضوع بالنسبة ليهم مجرد خسارة شوية فلوس وبس.... أو شوية سندات لكن بالنسبة لينا إحنا.... ! بالنسبة ليا أنا ! وبالنسبة لإيرهارت!وكان ساعتها لسه طفل!(بغضب أشد) العار اللي نزل علينا احنا الاتنين! من غير ذنب! العار!

إيللا رينتهايم:(بحذر) قوليلي يا جونهيلد، ....هوعامل إيه دلوقتي في الظروف دي ؟

السيدة بوركمان: قصدك إيرهارت؟

إيللا رينتهايم: لأ...بوركمان نفسه. عامل إيه في الظروف دي؟

السيدة بوركمان:(تتأفف باذدراء) هو إنتي فاكرة إني مهتمة أسأله السوال ده؟

إيللا رينتهايم :تسأليه؟ أكيد إنتي مش محتاجة تسألي....

السيدة بوركمان:(تنظر إليها في دهشة) أوعي تكوني متخيلة إني عايشة معاه؟ ولا بأقعد معاه؟ أو حتى باشوفه؟

إيللا رينتهايم :إيه ده !! معقول ولا حتى كده كمان؟

السيدة بوركمان:(بنفس اللهجة) طبعا.. مش هو اللي اتحبس في السجن خمس سنين! (تغطي وجهها بيدها) للأسف ، جاب لنا عار كبير!(بانفعال) تخيلي اسم يون جابريال بوركمان كان معناه إيه زمان !... لأ، لأ، لأ... مش عايزة أشوفه مرة تانية!.... أبدا!

إيللا رينتهايم : (تنظر إليها للحظة) ياه ده إنتي قلبك قاسي يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: قاسي معاه هو،أيوه.

إيللا رينتهايم: لكن ده جوزك برضه.

السيدة بوركمان: مش هو اللي قال في المحكمة إني أنا اللي دمرته؟ وإن أنا كنت مسرفة وباصرف فلوس زيادة عن اللزوم ...؟

إيللا رينتهايم: (بحذر) لكن تفتكري كلامه ده ماكانش مظبوط شوية؟

السيدة بوركمان:لا طبعا هو نفسه اللي كان عايز يعيش كده! مش أنا..لأنه كان عايز كل حاجة تكون فخمة بطريقة مالهاش معنى ....

إيللا رينتهايم: أنا كنت عارفة ده كويس. وعشان كده كان المفروض تمسكي إيده. بس إنتي ماعملتيش كده؟

السيد بوركمان: وهو أنا كنت أعرف منين إن الفلوس اللي كان بيديهالي عشان أصرفها ....ماكانتش بتاعته؟ ده كان بيصرف منها أكتر مني عشرين مرة!

إيللا رينتهايم: (بهدوء) أيوه، أفتكر ده كان يمكن بسبب طبيعة وظيفته، تقريبًا.

السيدة بوركمان: (بازدراء)أيوه، كان لازم نعيش في مستوى " مُشرف" و هو فعلا كان مُشرف! كان بيصرف بجنون ... والناس بتطاطيله وبتتقرب منه كأنه ملك. وكانوا بينادوه باسمه الأول ....في كل حته في البلد... كأنه هو فعلا الملك."يون جابريال"، "يون جابريال"، "يون جابريال". الكل كان عارف مكانة "يون جابريال"!

إيللا رينتهايم:(بحزم وبدفء) طبعا عشان كان ساعتها عنده مكانة.

السيدة بوركمان: أيوه، ده اللي كان باين... لكن ماكانش بيكلمني كلمة واحدة عن طبيعة شغله... وعمري ما عرفت كان بيجيب الفلوس دي منين!

إيللا رينتهايم: لأ،لأ...فعلا ولا حتى التانين كانوا بيعرفوا.

السيدة بوركمان: أنا مايهمنيش التانيين. كان واجب عليه يقوللي الحقيقة. وهو عمره ما قاللي! فضل يكدب... واستمر يكدب عليا ....

إيللا رينتهايم: (تقاطعها) لأ يا جونهيلد. هو ماعملش كده! يمكن ما قالكيش لكن هو ماكانش بيكدب .

السيدة بوركمان: طيب، طيب، سميها زي ما إنتي عايزة ، إنما النتيجة هي هي....لكن بعد كده كل حاجة إدمرت، كل حاجة ... وكل أمجاده إنتهت.

إيللا رينتهايم:(لنفسها) فعلا، كل حاجة إدمرت ... مش بس بالنسبة له ولكن ..... بالنسبة لكل الناس التانيين .

السيدة بوركمان:(تعتدل بقوة) بس أنا باقولك يا إيللا... أنا مش هايأس أبدا! وبرضه هلاقي خلاصي مرة تانية. تأكدي من كده!

إيللا رينتهايم:(بإثارة) خلاصك! قصدك إيه؟

السيدة بوركمان: خلاص اسمي، وكرامتي و شرفي، وثروتي! قصدي خلاص حياتي اللي هو دمرها! أنا ماسكة حاجة، حاجة هاتنضف كل حاجة .... لوثها مدير البنك.

إيللا رينتهايم: إيه ده يا جونهيلد! يا جونهيلد إيه الكلام ده ؟معناته إيه!

السيدة بوركمان: (بانفعال متزايد) فيه شخص هاينتقم! هايصلح كل اللي عمله أبوه معايا!

إيللا رينتهايم: تقصدي إيرهارت؟

السيدة بوركمان: أيوه،إيرهارت...إبني الجميل! هو اللي هايجيب الخلاص للعيلة والبيت والاسم. حاجة... ويمكن أكتر من كده كمان.

إيللا رينتهايم: ياه صحيح ؟، وده بقى هايحصل إزاي في رأيك؟

السيدة بوركمان: أه هايحصل، أنا ماعرفش إزاي لكن اللي أعرفه إنه هايحصل في يوم من الأيام .(تنظر إليها متسائلة)- إيه .... يا إيللا، مش هو ده اللي كنتي بتفكري فيه وهو طفل صغير؟

إيللا رينتهايم: لا ماقدرش أقول كده بالظبط.

السيدة بوركمان: فعلا؟ أمال كنتي بتربيه ليه؟ لما قامت العاصفة ... هنا في البيت ده.

إيللا رينتهايم: ساعتها ماكنتيش تقدري إنتي تربيه.

السيدة بوركمان: أيوه.... ماكنتش هاقدر، وبالنسبة لأبوه ... كان عنده عذر قانوني... لما كان قاعد هناك .... محبوس في السجن.

إيللا رينتهايم :(بغضب) إيه ده إنتي إزاي تقولي الكلام ده...! إنتي!

السيدة بوركمان:وقدرتي تيجي على نفسك وتربي إبن...إبن يون جابريال! وكأنه إبنك بالظبط .... تاخديه مني وتروحي بيه على بيتك ويفضل عندك سنة ورا سنة، لغاية ما بقى راجل.(تتفحصها في شك) ليه عملتي كده، يا إيللا؟ ليه خليتيه يفضل عندك كل السنين دي ؟
إيللا رينتهايم: لأني اتعلقت بيه جدا...

السيدة بوركمان: أكتر مني أنا.... أمه؟!

إيللا رينتهايم: (تتهرب) ماعرفش. وبعدين هو كان ضعيف جدا وهو صغير...

السيدة بوركمان: إيرهارت ...ضعيف!

إيللا رينتهايم: أيوه. أنا كنت شايفة كده... على الأقل ساعتها. وبعدين الجو هناك كان أفضل بكتير ومش برد زي هنا.

السيدة بوركمان: (تضحك بمرارة)هاها....فعلا؟ (تتوقف ثم تكمل) إنتي فعلا اهتميتي كويس قوي بإيرهارت. (تغير لهجتها) وده طبيعي لأن كان عندك إمكانيات مادية.(تبتسم) إنتي كنتي محظوظة يا إيللا. لأنك عرفتي ترجّعي كل حاجة.

إيللا رينتهايم: (تشعر بالإهانة) أنا ما عملتش أي حاجة ...ولا حاولت أرجّع حاجة .... وما كانش عندي أي فكرة عن الموضوع ... إلا بعدها بكتير .... ما كنتش أعرف إن الودايع اللي في البنك دي كانت متسجلة باسمي .... وإنهم....

السيدة بوركمان: طيب، طيب. أنا ما بافهمش في الأمور دي.(تنظر إليها متسائلة) وليه بقى أخدتي إيرهارت وربتيه بعيد عني .....؟ كان هدفك إيه؟

إيللا رينتهايم: (تنظر إليها) هدفي...؟

السيدة بوركمان: أيوه، أكيد كان ليكي هدف. كنتي عايزة تعملي منه إيه؟ قصدي عايزاه يكون إيه؟

إيللا رينتهايم: (بلطف) كنت عايزة أسهله السكة عشان يعيش سعيد في حياته.

السيدة بوركمان: (تتأفف) ده كلام فارغ ...الناس اللي زينا عندهم حاجات أهم من السعادة عشان يفكروا فيها.

إيللا رينتهايم:... زي إيه؟

السيدة بوركمان:(تنظر إليها بثبات وجدية) لازم يكون لإيرهارت وجود.. و نور قوي ينور الدنيا كلها عشان ماحدش يشوف الضل اللي رماه أبوه عليا ... وعلى إبنه.

إيللا رينتهايم: (تتفحصها) قوليلي يا جونهيلد..... بقى هو ده اللي إيرهارت طلبه ....؟

السيدة بوركمان:(باستغراب) أه، أتمنى!

إيللا رينتهايم:.....ولا ده طلبك إنتي ؟

السيدة بوركمان:(باقتضاب) أنا وإيرهارت طلبتنا زي بعض.

إيللا رينتهايم: (بحزن وببطء) للدرجة دي إنتي واثقة من إبنك يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: (بانتصار تحاول إخفائه) أه، طبعا الحمد لله.... أنا فعلا واثقة فيه. ثقي في الكلام ده!

إيللا رينتهايم: يبقى أكيد إنتي لازم تكوني سعيدة رغم كل الظروف التانية.

السيدة بوركمان:أنا سعيدة فعلا ولكن ... كل لحظة ... بالاقي كل الحاجات التانية جاية عليا زي العاصفة الشديدة.

إيللا رينتهايم: (تغير لهجتها) طيب عايزاكي تقوليلي دلوقتي حالا ..... لأن أنا جيت عشان الموضوع ده....

السيدوبوركمان: موضوع إيه ؟

إيللا رينتهايم: فيه حاجة لازم أتكلم معاكي فيها. قوليلي ...هو إيرهارت مش عايش هنا معاكم ...يعني عندكم هنا.

السيدة بوركمان: (بعنف) لا، طبعا ..إيرهارت ما ينفعش يعيش عندي هنا لأنه لازم يعيش جوه - المدينة.....

إيللا رينتهايم: هو كتبلي فعلا عن الموضوع ده.

السيدة بوركمان: لازم يعيش هناك عشان دراسته.... ومع كده هو بيجي كل يوم بالليل عشان يشوفني.

إيللا رينتهايم: طيب، ممكن أقابله واتكلم معاه دلوقتي؟

السيدة بوركمان: الحقيقة ..هو لسه ماجاش، بس أنا منتظرة يوصل في أي لحظة.

إيللا رينتهايم:لأ يا جونهيلد... هو أكيد جه لأني سامعه صوت رجليه فوق دلوقتي .

السيدة بوركمان: (تنظر نظرة خاطفة نحو الطابق العلوي) قصدك فوق في القاعة يعني؟

إيللا رينتهايم: أيوه، أنا سامعة صوت رجليه من ساعة ما جيت.

السيدة بوركمان: (تشيح بوجهها)لا .. ده مش هو يا إيللا.

إيللا رينتهايم: (باستغراب) مش إيرهارت؟ أمال مين !؟

السيدة بوركمان: ده مدير البنك.

إيللا رينتهايم: (بصوت منخفض وبألم مكتوم).. بوركمان. يون جابريال بوركمان؟

السيدة بوركمان: هو بيفضل رايح جاي ..... من الصبح لغاية بالليل.... يوم ورا يوم.

إيللا رينتهايم: أنا فعلا سمعت كلام عن الموضوع ده ...

السيدة بوركمان: أكيد. الناس بتقول علينا حاجات كتير هنا.

إيللا رينتهايم: ده إيرهارت اللي لمح لي عن الموضوع في جواباته. وقاللي إن أبوه بيقعد لوحده.... هناك فوق. وإنتي قاعدة هنا تحت لوحدك.

السيدة بوركمان: أيوه.... دي حياتنا يا إيللا من ساعة ما طلعوه من السجن وجبهولي هنا في البيت... طول التمن سنين الطويلة اللي فاتت.

إيللا رينتهايم: لكن أنا عمري ما توقعت إن الوضع يبقى كده. ولا إن ده اللي بيحصل فعلا .

السيدة بوركمان:(تومىء) هو كده طبعا. وما ينفعش يكون غير كده.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها) لكن دي حياة بشعة يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: أكتر من بشعة، وصعب إني أتحملها أكتر من كده.

إيللا رينتهايم: طبعا أكيد أنا فاهمة ده كويس.

السيدة بوركمان: أنا دايما باسمع خطواته فوق من الصبح لآخر الليل .... والواحد يقدر يسمع من هنا أي صوت!

إيللا رينتهايم: أيوه فعلا ،الواحد ممكن يسمع أي صوت من هنا.

السيدة بوركمان: كتير باحس إن عندي ديب مريض بيمشي في قفصه فوق في القاعة الكبيرة، فوق دماغي بالظبط. (تنصت وتهمس) اسمعي! ديب رايح جاي.... رايح جاي.

إيللا رينتهايم:(بحذر) طيب تفتكري إن الوضع ده ممكن يتغير يا جونهيلد ؟

السيدة بوركمان: (رافضة) لكن عمره ما أخد أي خطوة عشان يغيره.

إيللا رينتهايم: طيب وما ينفعش إنتي تاخدي الخطوة الأولى؟

السيدة بوركمان: (بانفعال) أنا! بعد كل اللي عمله فيا! ... لأ شكرا! خللي الديب يفضل رايح جاي فوق لوحده.

إيللا رينتهايم: ياه الجو هنا حر -. ممكن أقلع البالطو بتاعي؟

السيدة بوركمان: أيوه، ماأنا قلتلك تقلعيه قبل كده.....

(تضع إيللا رينتهايم قبعتها ومعطفها على المقعد بجوار المدخل الرئيسي.)

إيللا رينتهايم: هو إنتي ما قابلتهوش خالص بره البيت؟

السيدة بوركمان: (تضحك بمرارة)... قصدك في المناسبات؟

إيللا رينتهايم: أقصد لما بيخرج يشم شوية هوا نضيف أو لما بيتمشى في الغابة.

السيدة بوركمان: مدير البنك ما بيخرجش خالص.

إيللا رينتهايم: ولا حتى بالليل؟

السيدة بوركمان: أبدا.

إيللارينتهام (بتأثر) هو مايقدرش يعمل كده؟

السيدة بوركمان: أكيد مايقدرش. البالطو الكبير بتاعه وطاقيته الفرو متعلقين في الدولاب أهم . في المدخل زي ما إنتي عارفة.....

إيللا رينتهايم: (تنظر أمامها) آه صحيح الدولاب اللي كنا بنستخبى فيه وإحنا صغيرين....

السيدة بوركمان: (تومئ) وساعات ....في وقت متأخر بالليل ....باسمعه وهو بيلبس وينزل السلم .... وبعدين يقف في وسط السلم ويلف ويرجع تاني للصالة .

إيللا رينتهايم:(بهدوء) وأصحابه القدام ما بيجوش يشوفوه؟

السيدة بوركمان: ماعندوش أصحاب قدام.

إيللا رينتهايم: بس ده كان عنده أصحاب كتير زمان.

السيدة بوركمان: همم! هو عرف يتخلص منهم كلهم لأن صحوبيته بقت مُكلفة بالنسبة لأصحابه ... يون جابريال.
-إيللا رينتهايم: أه، يمكن عندك حق يا جونهيلد.

السيدة بوركمان:(بحماس) لازم أقول كمان إن اللي عملوه ماكانش يصح. دي كانت حقارة وخسة وندالة إنهم ما يبصوش إلا للخسارة البسيطة اللي هو كان سبب فيها لأنها كانت خسارة مادية مش أكتر.

إيللا رينتهايم:(لا تجيب) يبقى هو عايش فوق لوحده، لوحده خالص.

السيدة بوركمان: أه، فعلا. لكن أنا باسمع موظف عجوز بيطلعله فوق كل فترة .

إيللا رينتهايم: أه، فعلا. ده واحد اسمه فولدال، وأنا عارفة إنهم كانوا أصحاب من أيام الشباب.

السيدة بوركمان: أه، متهيألي كده. لكن أنا ماعرفوش. هو عمره أبدا ماكان واحد من أصحابنا و ماكانش بيجي حفلاتنا أبدا وحاليا مابقاش فيه حد منهم ....

إيللا رينتهايم: يعني هو بس اللي دلوقتي بيجي عشان يشوف بوركمان؟

السيدة بوركمان: أيوه، وبوركمان مش المفروض يتوقع أكتر من كده وهو مابيجيش يزوره إلا بعد الدنيا ما تضلم.

إيللا رينتهايم: وفولدال ده.... هو كمان من الناس اللي خسروا فلوسهم لما البنك فلس؟

السيدة بوركمان: (بلا اكتراث) أيوه، بيتهيألي إنه خسر شوية فلوس هو كمان لكن ماكانش مبلغ كبير.

إيللا رينتهايم:(مؤكدة) بس أكيد كان كل اللي حيلته.

السيدة بوركمان: (تبتسم) أوه، ياربي .....ده اللي كان حيلته كان مبلغ لا يذكر.

إيللا رينتهايم: وفعلا ماحدش جاب سيرته ... ولا فولدال نفسه.... في التحقيقات.

السيدة بوركمان: وعموما أقدر أقولك إن إيرهارت عوّضه بمبلغ أكبر بكتير من المبلغ اللي خسره.

إيللا رينتهايم:(باستغراب) إيرهارت! قدر يعوضه إزاي؟

السيدة بوركمان: إهتم بأصغر بنات فولدال وعلمها .... عشان تبقى حاجة في المستقبل، وتقدر تعتمد على نفسها. شفتي بقى.... وده أكبر بكتير من اللي أبوها كان يقدر يعملهولها.

إيللا رينتهايم: أيوه، بيتهيألي عشان ظروف أبوها المادية كانت صعبة.

السيدة بوركمان:وإيرهارت رتبلها كمان دروس في الموسيقى. وبقت شاطرة جدا وبتطلعله لفوق في القاعة .... وبتعزفله.

إيللا رينتهايم: يعني هو لسه بيحب الموسيقى؟

السيدة بوركمان: أه لسه بيحب الموسيقى وعنده البيانو اللي بعتيهوله هنا .... لما كان مستني ....

إيللا رينتهايم: وبنت فولدال دي لسه بتعزفله على البيانو؟

السيدة بوركمان: أه، أحيانا بالليل. وده كمان إيرهارت اللي رتبه.

إيللا رينتهايم: ولكن ينفع البنت الغلبانة تمشي المسافة دي كلها وبعدين ترجع لبيتها مرة تاني في المدينة؟

السيدة بوركمان:لأ، هي مش محتاجة تعمل كده، لأن إيرهارت رتبلها عشان تقعد مع واحدة ست ساكنة قريب من هنا. اسمها مدام ويلتون....

إيللا رينتهايم:(باهتمام) مدام ويلتون؟!

السيدة بوركمان: هي ست غنية جدا. إنتي ما تعرفيهاش وللا إيه؟

إيللا رينتهايم: أظن سمعت اسمها. بيتهيألي هي مدام فاني ويلتون....

السيدة بوركمان: أيوه، صح.

إيللا رينتهايم: إيرهارت كتبلي كتير عنها ..... وياترى هي ساكنة في المنطقة هنا ؟

السيدة بوركمان: أه، هي أجرت فيلا هنا، ونقلت من المدينة من فترة.

إيللا رينتهايم: (بشيء من التردد) أنا سمعت الناس بتقول إنها إتطلقت من جوزها .

السيدة بوركمان: لكن جوزها مات من كام سنة .

إيللا رينتهايم: أيوه، لكن هما اتطلقوا ..... هو طلقها...

السيدة بوركمان: سمعت إنه سافر وسابها وأكيد ده مش ذنبها هي .

إيللا رينتهايم:إنتي تعرفيها يا جونهيلد؟

السيدة بوركمان: أه طبعا. أعرفها كويس لأنها ساكنة جنبنا هنا وكل فترة بتعدي عليا.

إيللا رينتهايم: وياترى بتعجبك ؟

السيدة بوركمان: هي متفهمة قوي وبتحكم على الأمور كويس.

إيللا رينتهايم: قصدك في حكمها على الناس؟

السيدة بوركمان: أه، خصوصا الناس. هي درست شخصية إيرهارت كويس قوي.... درستها بجد ... وقدرت توصل لكل اللي جواه ....وعشان كده هي بتعبده .... وده طبيعي.

إيللا رينتهايم: (بمكر) يبقى هي تعرف إيرهارت أكتر منك إنتي .

السيدة بوركمان: أيوه، إيرهارت كان بيقابلها كتير في المدينة قبل ما تنقل هنا.

إيللا رينتهايم: (بلا تردد) ورغم كده نقلت برضه من المدينة؟

السيدة بوركمان: (ترمقها بنظرة حادة) رغم كده؟ قصدك إيه؟

إيللا رينتهايم:(وهي تراوغ) يا ربي ....أقصد إيه يعني...؟

السيدة بوركمان: إنتي قلتيها بطريقة غريبة. إنتي كنتي تقصدي حاجة يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(تنظر في عينيها نظرة ثاقبة) أيوه، فعلا يا جونهيلد. أنا فعلا أقصد حاجة.

السيدة بوركمان: يبقى قوليها من غير لف ولا دوران؟

إيللا رينتهايم: خلليني الأول أقولك إن أنا كمان ليا حق في إيرهارت. ولا إنتي ـ شايفة حاجة تانية؟

السيدة بوركمان:(تشيح ببصرها بعيدا) أعوذ بالله. بعد كل المبالغ اللي صرفتيها عليه فا....

إيللا رينتهايم: لأ، مش عشان كده يا جونهيلد، لكن عشان أنا باحبه....

السيدة بوركمان: (تبتسم بازدراء) بتحبي إبني؟ تقدري فعلا؟ إنتي؟ رغم كل اللي جرى؟

إيللا رينتهايم: أيوه، أقدر.... رغم كل حاجة. أنا فعلا باحبه أكتر من أي حد تاني .... دلوقتي...وأنا في السن ده.

السيدة بوركمان: طيب ، طيب. كفاية، لكن ...

إيللا رينتهايم: عشان كده أنا باقلق لما باحس إن فيه حاجة بتهدده.

السيدة بوركمان: بتهدد إيرهارت! إيه اللي بيهدده؟ أو مين اللي بيهدده؟

إيللا رينتهايم: إنتي أولا..... بطريقتك دي .....

السيدة بوركمان: (بحدة) أنا!

إيللا رينتهايم:.... السيدة ويلتون كمان.... أنا قلقانة منها.

السيدة بوركمان:(تنظر إليها في ذهول) معقول تقولي كده على إيرهارت!؟ إبني أنا!؟ اللي عنده رسالة عظيمة.

إيللا رينتهايم: (بلا إكتراث) إيه ؟.رسالة إيه ؟...!

السيدة بوركمان:(بغضب) وقادرة تقوليها بالطريقة المهينة دي!

إيللا رينتهايم: يعني...هل تتخيلي إن شاب في سن إيرهارت ... مليان صحة وحيوية .... تفتكري إنه هايضحي بنفسه ..... عشان "رسالة" زي دي!؟

السيدة بوركمان:(بحزم وبشكل قاطع) أنا عارفة إن إيرهارت هايعمل كده! أنا متأكدة.

إيللا رينتهايم: (تهز رأسها) لأ، إنتي لا متأكدة ولا بتؤمني بكده يا جونهيلد.

السيدة بوركمان:مش متأكدة.. ما بآمنش؟

إيللا رينتهايم: دي مجرد حاجة بتحلمي بيها عشان لو ما كانش عندك حاجة تمسكي فيها زي دي كنتي هاتعيشي يائسة جدا.

السيدة بوركمان:أيوه، كنت فعلا هايأس.(بحدة) ويمكن ده اللي إنتي عايزاه يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(ترفع رأسها) أيوه، فعلا .... طالما إنتي مش هاتقدري تحرري نفسك إلا على حساب إيرهارت.

السيدة إيرهارت:(متوعدة) إنتي عايزة تفسدي علاقتنا! علاقة أم وإبنها! إنتي إيه!

إيللا رينتهايم: أنا عايزة أحرره من سلطتك.... من عنفك.... من سيطرتك.

السيدة بوركمان:(بانتصار) مش هاتقدري تعملي كده خلاص! هو كان واقع في الشبكة بتاعتك..لغاية ما وصل خمستاشر سنة. لكن دلوقتي أنا فزت بيه من جديد، زي ما إنتي شايفة!

إيللا رينتهايم: بس أنا هاعرف إزاي أرجعه تاني! (بصوت أجش، وتهمس) إحنا الاتنين دخلنا معركة حياة أو موت عشان خاطر شخص قبل كده يا جونهيلد!

السيدة بوركمان: (بتعالي) أه، لكن أنا انتصرت في النهاية .

إيللا رينتهايم:(بابتسامة محملة بالازدراء) إنتي لسه شايفة نفسك منتصرة؟

السيدة بوركمان:(بحزن) لأ.... عندك حق.

إيللا رينتهايم: ومش هيكون انتصار بالنسبة لك المرة دي كمان .

السيدة بوركمان: مش هانتصر، ومش هافضل مسيطرة على إيرهارت!؟

إيللا رينتهايم: أيوه، لأن إنتي مش عايزة غير إنك تفرضي سيطرتك عليه وبس.

السيدة بوركمان:وإنتي!؟

إيللا رينتهايم:(بدفء) أنا عايزة عقله الطيب ...روحه.... وكل قلبه....!

السيدة بوركمان: (بانفعال) مش هتوصلي لده تاني أبدا!

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها) وإنتي السبب في كده؟

السيدة بوركمان:(تبتسم) أيوه، أنا السبب. وهو إنتي ما قدرتيش تقرأي اللي بين السطور في جواباته؟

إيللا رينتهايم:(تومئ ببطء) أيوه، إنتي كنت مالية جواباته.

السيدة بوركمان:(بجرأة) أنا استغليت التمن سنين..... اللي كان فيها تحت عينيا زي ما إنتي شايفه.

إيللا رينتهايم:(تكبح جماح نفسها) إنتي قلتي إيه لإيرهارت عني؟ ممكن تقوليلي؟

السيدة بوركمان: أيوه، طبعا ممكن.

إيللا رينتهايم: طيب قولي.

السيدة بوركمان: أنا قولتله الحقيقة.

إيللا رينتهايم: وإيه هي بقى؟

السيدة بوركمان: أنا فضلت أقوله إنه لازم يفضل فاكر إن الفضل يرجعلك إنتي في إن إحنا قادرين نعيش كده... أو قادرين نعيش على أي وضع.

إيللا رينتهايم: ماقولتيلوش حاجة تانية غير كده؟

السيدة بوركمان: أوه، دي حاجات مزعجة، أنا نفسي حاسة بكده.

إيللا رينتهايم: لكن كل اللي قولتيه ده مش أكتر من اللي كان يعرفه إيرهارت من الأول.

السيدة بوركمان: لما رجعلي كان فاكر إنك عملتي كل ده بنية طيب. (بحقد) لكن دلوقتي هو مش مصدق الكلام ده يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: طيب وهو مصدق إيه بقى دلوقتي ؟

السيدة بوركمان: دلوقتي هو مصدق الحقيقة. كنت باسأله إزاي يفسر إن خالته إيللا ماكانتش بتزورنا أبدا.

إيللا رينتهايم:(تقاطعها) هو عارف السبب من قبل كده.

السيدة بوركمان: هو دلوقتي يعرف أكتر ... إنتي كنتي مفهّماه إنك عملتي كده عشان تحميني أنا و .... اللي رايح جاي في القاعة فوق.

يللارينتهايم: و ده كمان صحيح.

السيدة بوركمان: دلوقتي إيرهارت مابقاش مصدق الكلام ده خالص.

إيللا رينتهايم: وإنتي بقى خلتيه يصدق إيه عني؟

السيدة بوركمان: اللي مصدقه هو الحقيقة. إنك بتستعرّي مننا، ..... وبتكرهينا. مش كده؟ مش كنتي بتخططي تاخديه مني ؟ افتكري يا إيللا. أكيد إنتي فاكرة.

إيللا رينتهايم:(رافضة) ده لما الفضيحة كبرت ولما كانت القضية في المحكمة. .... أنا مابقتش افكر في الأمور دي خالص دلوقتي.

السيدة بوركمان: وده مش هايفيدك بحاجة، وهو هايعمل إيه في - رسالته!؟ أوه، لا شكرا ! إيرهارت محتاجني أنا .... مش إنتي. وعشان كده هو بالنسبة ليكي ميت وانتي كمان بالنسبة له ميته.

إيللا رينتهايم:(ببرود وبحزم) طيب هنشوف عشان أنا هافضل هنا.

السيدة بوركمان:(تحملق فيها) هنا؟ في العزبة؟

إيللا رينتهايم:أيوه، هنا.

السيدة بوركمان:هنا... عندنا؟ الليلة؟

إيللا رينتهايم:هافضل هنا طول حياتي لو اضطريت.

السيدة بوركمان: (تتمالك نفسها) طبعا، طبعايا إيللا.... العزبة بتاعتك.

إيللا رينتهايم:إيه ....!؟

السيدة بوركمان: كل حاجة هنا بتاعتك، الكرسي اللي أنا قاعدة عليه ، بتاعك. السرير اللي أنا بانام عليه وبتقلب فيه من غير نوم بتاعك، وحتى الأكل اللي بناكله بيجي من عندك.

إيللا رينتهايم: ماكانش ينفع الأمور تمشي بطريقة تانية، ماكنش ينفع أي حاجة تفضل باسم بوركمان لأن ساعتها كانوا هياخدوها منه على طول.

السيدة بوركمان: أنا عارفة وعشان كده لازم نرضى نعيش تحت رحمتك إنتي.

إيللا رينتهايم:(ببرود) أنا ما قدرش أمنعك إنك تشوفي الأمور بطريقتك يا جونهيلد.

السدة بوركمان: لأ، ما تقدريش..... إنتي عايزانا نمشي من هنا إمتى؟

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها) تمشوا ؟

السيدة بوركمان: (بغضب) أيوه، أوعي تتخيلي إني ها قعد هنا معاكي تحت سقف واحد!.... لأ. أحسنلي أعيش في ملجأ للفقرا أو حتى أعيش في الشارع.

إيللا رينتهايم: طيب. إديني إيرهارت.

السيدة بوركمان: إيرهارت! إبني! ضنايا!

إيللا رينتهايم: أيوه،.... وساعتها هارجع معاه البيت على طول.

السيدة بوركمان: (تتروى قليلا، وبحزم) سيبي إيرهارت هو اللي يختار بينا.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها في شك وتردد) هو اللي يختار؟ وعندك الجرأة تقولي كده يا جونهيلد .

السيدة بوركمان: (تضحك ضحكة قوية وخشنة) عندي الجرأة !؟ أخلّي إبني يختار بين أمه وبينك!؟ طبعا، عندي الجرأة.

إيللا رينتهايم:(تنصت) فيه حد جاي؟ بيتهيألي أنا سامعة حد ....

السيدة بوركمان: ده أكيد إيرهارت....

(يُسمع طرق سريع على باب المدخل ويُفتح الباب على مصراعيه. تدخل السيدة ويلتون مرتدية ثوب حفل وفوقه معطفا ومن خلفها الخادمة التي لم يكن لديها وقت كاف لتعلن عن وصول أحد فبدت الحيرة عليها. يبقى الباب مواربا. تبدو السيدة ويلتون جميلة وفاتنة في الثلاثين من عمرها ذات شفتين عريضتين حمراوين باسمتين وعينين لامعتين وشعر كثيف وداكن.)

السيدة ويلتون: مساء الخير يا مدام بوركمان!

السيدة بوركمان:(بطريقة جافة) مساء الخير يا هانم. (للخادمة وهي تشير نحو الشرفة الزجاجية التي تطل على الحديقة) خدي اللمبة وحطيها هناك وولعيها.

(تأخذ الخادمة المصباح وتذهب به)

السيدة ويلتون: (تنظر إلى إيللا رينتهايم) لا مؤاخذة، فيه ناس غُرب هنا...

السيدة بوركمان: دي أختي، لسه واصلة حالا من السفر....

(يدفع إيرهارت الباب المواربب ويندفع إلى الداخل بقوة. وهو شاب ذو عينين لامعتين لونهما فاتح. يرتدي ملابس أنيقة وله شارب خفيف.)

إيرهارت: (بسعادة وهو يقف بالمدخل) إيه ده!؟ هي خالتي إيللا جت؟ (يندفع إليها ويمسك بيديها) خالتي! خالتي! لأ، معقول!؟ إنتي هنا؟

إيللا رينتهايم:(تُلقي بذراعيها حول عنقه) إيرهارت! ابني حبيبي! قد إيه كبرت! ياه، أنا مبسوطة قوي إني شفتك تاني !

السيدة بوركمان: (بحدة) إيه ده يا إيرهارت.... هو أنت كنت واقف مستخبي في المدخل ولا إيه؟

السيدة ويلتون: (بسرعة) إيرهارت... بوركمان جه معايا.

السيدة بوركمان: فعلا يا إيرهارت! إنت ماجتش لمامتك الأول!

إيرهارت: أصلي كان لازم أعدي على مدام ويلتون شوية عشان أجيب فريدة الصغيرة معايا.

السيدة بوركمان: والآنسة فولدال جت هي كمان؟

السيدة ويلتون: أيوه، سبناها واقفة بره في المدخل .

إيرهارت: (ينادي عبر الباب المفتوح) اطلعي يا فريدة.

(صمت. تراقب إيللا رينتهايم إيرهارت. يبدو عليه الإحراج والتململ وبعض الضيق، وعلى وجهه تعبير ينم عن الجمود والبرود.)

(تحضر الخادمة مصباحا موقد إلى الشرفة الزجاجية التي تطل على الحديقة، وتخرج مرة أخري وتغلق الباب خلفها.)

السيدة بوركمان: (بأدب مصطنع) أهلا يا مدام ويلتون..... لو هاتفضلي معانا هنا الليلة دي فا....

السيدة ويلتون: لأ متشكرة قوي يا مدام. أنا مش ناوية أقعد . عندنا دعوة تانية، إحنا رايحيين عند المحامي هانكالز.

السيدة بوركمان: (تنظر إليها) إحنا؟ قصدك مين بإحنا؟

السيدة ويلتون: (ضاحكة) أنا في الحقيقة أقصد نفسي بس. لكن الستات في البيت طلبوا مني أجيب الطالب بوركمان معايا... لو قابلته .

السيدة بوركمان: وزي ما أنا شايفة إنتي قابلتيه.

السيدة ويلتون: أه، لحسن الحظ. لأنه من طيبته عدى عليا.... عشان خاطر فريدة الصغيرة.

السيدة بوركمان:(بجفاء) يا إيرهارت.... أنا ماكنتش أعرف إنك تعرف العيلة دي.. ...عيلة هانكالز؟

إيرهارت: (بضيق) أنا ماعرفهمش فعلا.(يضيف بشيء من الضيق) إنتي عارفة كويس يا أمي مين الناس اللي أعرفهم ومين اللي ماعرفهمش.

السيدة ويلتون: ، كلام فارغ! في البيت ده الواحد بيتعرف على الناس بسرعة! ناس مبسوطة وفرحانة وكريمة، والبيت مليان بنات صغيرة.

السيدة بوركمان:(مؤكدة) حسب معرفتي بابني، الجو ده ماينا سبهوش يا مدام ويلتون.

السيدة ويلتون: يا هانم، هو لسه برضه شاب!

السيدة بوركمان: أه، وكويس أنه شاب صغير. لأن ماكانش ينفع غير كده.

إيرهارت: (يخفي ضيقه) أيوه، أيوه، أيوه يا أمي..... أكيد مش هاروح عند عيلة هانكالز الليلة دي. طبعا هافضل معاكي إنتي وخالتي إيللا.

السيدة بوركمان: كنت واثقة من كده يا إيرهات يا حبيبي.

إيللا رينتهايم: لا، يا إيرهات .... ماتقعدش هنا عشان خاطري ....

إيرهارت: لأ طبعا يا خالتي يا حبيبتي. مش هأقدر أعمل حاجة غير كده. (ينظر بقلق إلى السيدة ويلتون) بس هاعمل كده إزاي؟ ينفع؟ إنتي قبلتِي دعوتهم.... بالنيابة عني .

السيدة ويلتون: (بفرحة) كلام فارغ! وليه لأ؟ لما أروح هناك وأدخل للصالون المنور اللي مليان ناس ... وحيدة ... ومامعايش حد ... تخيل الموقف ! هاقولهم "لأ" بالنيابة عنك.

إيرهارت: (بتردد) طيب، طالما إنتي بتقولي إنه ممكن فا....

السيدة ويلتون: (بخفة وبلا مبالاة) أنا ياما جاوبت كتير بأيوه و لأ.... نيابة عن نفسي. وهو ينفع تسيب خالتك دلوقتي وهي لسه واصلة؟ إخص عليك يا إيرهارت!.... هو ده برضة تصرف ابن بار؟

السيدة بوركمان: (بضيق) ابن بار؟

السيدة ويلتون: طيب. خلينا نقول ابن بالتبني يا مدام بوركمان.

السيدة بوركمان: أيوه لازم تضيفي الكلمة دي.

السيدة ويلتون: ياه ، الظاهر إن الواحد لازم يشكر أمه بالتبني أكتر من أمه الحقيقية.

السيدة بوركمان: إنتي مريتي بالتجربة دي وللا إيه ؟

السيدة ويلتون: يا ربي.... في الحقيقةأنا ما عرفش حاجات كتير عن أمي بس لو كان ليا أم بالتبني أنا كمان .....يمكن ما كنتش هابقى .... ست سمعتها وحشة زي ما الناس بتقول عليا . (تستدير نحو إيرهارت) عشان كده خليك قاعد في البيت مع أمك وخالتك..... واشرب الشاي معاهم يا سيادة الطالب! (للسيدات) مع السلامة، مع السلامة يا هانم ! مع السلامة يا آنسة!

(تنحني لها السيدتان في صمت وتتجه نحو الباب)

إيرهارت: (يتبعها) أوصلك شوية ل ....؟

السيدة ويلتون: (تمنعه وهي تقف عند الباب) ولا خطوة واحدة. أنا متعودة أمشي لوحدي(تقف بمدخل الباب وتنظر إليه وتوميء) لكن الطالب بوركمان لازم ياخد باله من نفسه .... أنا باقولك أهو!

إيرهارت: وليه آخد بالي من نفسي ؟

السيدة ويلتون: (ببهجة) لأني لما أمشي في الشارع ... وحيدة و مامعايش حد زي ما قلتلك.... ها حاول أرمي سحري عليك.

إيرهارت: (يضحك) أوه، فعلا ! هاتحاولي تعملي كده معايا تاني؟

السيدة ويلتون: (بشيء من الجدية) أيوه، خد بالك لأني وأنا ماشية على الطريق هاقول لنفسي ومن جوايا... وبإرداتي الحقيقية....:
"يا طالب إيرهارت بوركمان.... خد برنيطتك حالا والبسها!"

السيدة بوركمان: وتفتكري إنه هايلبسها؟

السيدة ويلتون: (ضاحكة) أه طبعا، هايلبس برنيطته على طول وساعتها هاقول: " إلبس البالطو بتاعك يا إيرهارت بوركمان! وماتنساش غطا الجزمة! وتعالي ورايا، وهاتسمع الكلام!

إيرهارت:(ببهجة مصطنعة) أكيد أنا هاعمل كده طبعا.

السيدة ويلتون:(ترفع سبابتها) إنت هاتسمع الكلام ..... تصبحوا على خير .

(تضحك وتوميء للسيدات وتغلق الباب خلفها)

السيدة بوركمان: هي بجد بتعمل الألاعيب دي؟

إيرهارت:لأ طبعا. إزاي تفكري كده؟ ده هزار بس .(يتوقف) بلاش نتكلم عن مدام ويلتون دلوقتي ..(يجعل السيدة إيللا رينتهايم تجلس في المقعد المريح بجوار المدفأة، ثم يقف وينظر إليها قليلا) معقول تسافري المسافة الطويلة دي يا خالتي إيللا في الشتا ده!

إيللا رينتهايم: اضطريت يا إيرهارت.

إيرهارت: فعلا ؟ طب ليه؟

إيللا رينتهايم: كان لازم آجي عشان أتكلم مع الدكاترة .

إيرهارت: طيبكويس إنك عملتي كده!

إيللا رينتهايم:(تبتسم) تفتكر كده؟

إيرهارت: قصدي إنك أخيرا أخدتي القرار.

السيدة بوركمان:(وهي تجلس على الأريكة، ببرود) هو إنتي مريضة يا إيللا وللا إيه؟

إيللا رينتهايم:(تنظر إليها بحدة) ما إنتي عارفة كويس إني مريضة.

السيدة بوركمان: أيوه، المرض اللي كان عندك من سنين..

إيرهارت: لما كنت قاعد معاكي كنت باترجاكي تروحي للدكتور.

إيللا رينتهايم: صح، بس ما كانش فيه دكتور أثق فيه في المنطقة اللي أنا قاعدة فيها، وبعدين الحالة ماكانتش ساءت قوي ساعتها.

إيرهارت: ودلوقتي يا خالتي حالتك ساءت؟

إيللا رينتهايم: أيوه يا بني. ساءت.

إيرهارت: لكن الحالة مش خطيرة، ولا إيه؟

إيللا رينتهايم: يعني ، ده على حسب نظرتك للحالة .

إيرهارت: (بحماس) طيب يا خالتي إيللا .....ما ترجعيش لبيتك تاني بسرعة.

إيللا رينتهايم:لأ، أنا مش هارجع دلوقتي .

إيرهارت: لازم تفضلي هنا في المدينة وتقدري تختاري أشطر دكتور فيها.

إيللا رينتهايم: هو ده اللي أنا فكرت فيه لما سافرت.

إيرهارت: ولازم تلاقي لنفسك بيت كويس.... بنسيون صغير هادي.

إيللا رينتهايم: أنا رحت الصبح البيت القديم اللي كنت ساكنة فيه قبل كده.

إيرهارت: كويس. هاترتاحي هناك.

إيللا رينتهايم: أيوه، لكن أنا مش هاسكن هناك.

إيرهارت: بجد؟ وليه لأ؟

إيللا رينتهايم: غيرت رأيي لما جيت هنا.

إيرهارت: (مستغربا) فعلا ....؟ غيرتي رأيك..؟

السيدة بوركمان:(تغزل الكروشيه ودون أن ترفع عينيها) خالتك عايزة تعيش هنا في المزرعة يا إيرهارت.

إيرهارت:(يتناوب النظر بينهما) هنا! هنا عندنا !؟ هنا عندنا إحنا!؟.... فعلا يا خالتي؟

إيللا رينتهايم: أيوه، أنا قررت ده دلوقتي.

السيدة بوركمان:(في وضعها السابق) إنت عارف إن كل حاجة هنا بتاعة خالتك.

إيللا رينتهايم: أنا هافضل هنا يا إيرهارت على الأقل في الفترة الأولانية لغاية ما أشوف هاعمل إيه، وهارتب مكان ليا في جناح ناظر العزبة.

إيرهارت: عندك حق. هناك فيه أوض كتيرة فاضية. (بحماس مفاجيء) لكن صحيح يا خالتي.... إنتي مش تعبانة من السفرية الطويلة دي؟

إيللا رينتهايم: أه، أنا تعبانة شوية.

إيرهارت: يبقى لازم تنامي بدري النهاردة .

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه مبتسمة) أه، هاعمل كده.

إيرهارت:(بحماس) ممكن نتكلم أكتر الصبح....أو في أي يوم تاني عن أي حاجة وعن أي موضوع. أنا وإنت وأمي. مش ده يبقى أحسن يا خالتي إيللا؟

السيدة بوركمان:(بانفعال وهي تنهض من على الأريكة) يا إيرهارت، أنا حاسة إنك عايز تمشي و تسيبني !

إيرهارت: (يجفل) قصدك إيه!؟

السيدة بوركمان: إنت عايز تروح ...للمحامي هانكالز!

إيرهارت:(لا إراديا) أه، فعلا ! (يتمالك نفسه) طيب، إنتي عايزاني أفضل هنا وأخلي خالتي إيللا تفضل صاحية لساعة متأخرة بالليل وهي مريضة بالشكل ده يا أمي؟ فكري في الموضوع.

السيدة بوركمان:إنت عايز تروح عند هانكالز يا إيرهارت!

إيرهارت:(بضجر) أيوه، يا ربي يا أمي . أظن مايصحش ماروحش؟ ولا رأيك إيه يا خالتي؟

إيللا رينتهايم: اتصرف بحريتك يا إيرهارت.

السيدة بوركمان: (تتجه إليها متوعدة) إنتي عايزة تفرقي بيني وبينه!

إيللا رينتهايم:(تنهض) يا ريت كنت أقدر يا جونهيلد!

(يُسمع عزف موسيقى من الطابق العلوي)

إيرهارت:(يتلوى كما لو كان يتألم) - لا.لا، أنا مش قادر أتحمل! (يتلفت حوله) فين برنيطتي ؟(لإيللا) إنتي عارفة الموسيقى اللي جاية من فوق دي؟

إيللا رينتهايم:لأ، ماعرفهاش؟

إيرهارت: هي بتعزف رقصة مكابري. رقصة الموت! إنتي ماتعرفيش رقصة الموت يا خالتي؟

إيللا رينتهايم:(تبتسم في حزن) لا .. في الحقيقة ماعرفهاش يا إيرهارت؟

إيرهارت:(للسيدة بوركمان) يا ماما... أرجوكي سيبيني أمشي!

السيدة بوركمان:(تنظر إليه بقسوة) بقى كده ؟تمشي وتسيب أمك؟ هو ده اللي إنت عايزه؟

إيرهارت: هارجع تاني.... يمكن بكرة.

السيدة بوركمان:(بغضب شديد) يعني إنت عايز تسيبني! عشان تروح تقعد مع الناس الغريبة دي! عند...عند....لأ، مش عايزة حتى أفكر في الموضوع!

إيرهارت: هناك فيه نور كتير وشباب مبسوطين وفيه موسيقى كمان يا أمي!

السيدة بوركمان:(تشير إلى السقف) طيب ما هو فوق فيه موسيقى يا إيرهارت.

إيرهارت: أيوه، ماهي الموسيقى اللي فوق دي.... هي اللي بتخليني عايز أسيب البيت وأمشي.

إيللا رينتهايم: أنت مستخسر في أبوك إنه ينسى شوية؟

إيرهارت: لأ، طبعا. أنا سايبه ينسى زي ما هو عايز لكن المهم إن أنا ما اسمعش الموسيقى دي.

السيدة بوركمان:(تنظر إليه بجدية) خلّيك قوي يا إيرهارت! خلّيك قوي يا ابني! ما تنساش إن عندك رسالة عظيمة.

إيرهارت: ياه ، يا أمي.... ياريت ماتتكلميش بالطريقة دي! أنا ما تخلقتش عشان أكون صاحب "رسالة" .... تصبحي على خير، يا خالتي! تصبحي على خير يا أمي.

(يخرج بسرعة عبر غرفة المعيشة)

السيدة بوركمان:(بعد صمت قصير) إنتي تقريبا عرفتي تاخديه تاني يا إيللا.

إيللا رينتهايم: ياريت أقدر أصدق إن الكلام ده صحيح .

السيدة بوركمان: لكن مش هاتحتفظي بيه كتير. هاتشوفي.

إيللا رينتهايم: قصدك إنك هتاخديه ليكي؟

السيدة بوركمان: أنا .... أو هي، الست التانية.

إيللا رينتهايم:يبقى الأحسن إن هي اللي تاخده.

السيدة بوركمان:(تومىء ببطء) أنا فاهمة. وأنا كمان باقول نفس الكلام. ياريت هي مش إنتي.

إيللا رينتهايم: أيا كان فا.....

السيدة بوركمان: ده مش ها يفرق معايا.

إيللا رينتهايم:(تضع المعطف على ذراعها) لأول مرة في حياتنا نكون متفقين – إحنا الأختين التوأم . ... تصبحي على خير يا جونهيلد.

(تخرج عبر غرفة المعيشة. يعلو صوت الموسيقى في الطابق العلوي)

السيدة بوركمان:(تظل واقفة في مكانها في صمت ثم تنكمش وتهمس على نحو لا إرادي) الديب رجع يعوي تاني. ..... الديب المريض. (تقف في مكانها لحظة وتقذف بنفسها على السجادة على الأرض وتتلوي وتتقلب وتهمس) يا إيرهارت! يا إيرهارت....! .. خليك مخلص ليا! أوه، ارجع يا بني بيتك وساعد أمك! أنا خلاص مش قادرة أستحمل .

ستار

الفصل الثاني

(القاعة المهجورة منذ زمن في منزل عائلة رينتهايم بالطابق العلوي. الجدران مغطاة بقماش مزركش برسوم وصور لمشاهد صيد تجسد رعاة وراعيات أغنام بألوان قاتمة. والجدار الأيسر...إلى الخلف مغطى بنفس القماش المزركش وبدون إطار. أمام منتصف الجدار الأيمن مكتب كبير من خشب البلوط مزين بنقوش بارزة ويتكدس فوقه الكثير من الكتب والأوراق. ويليه على نفس الجانب نحو المقدمة أريكة أمامها منضدة وبضع مقاعد. الأثاث مرتبويحمل طابعا كلاسيكيا. وعلى المكتب والمنضدة مصباحان مضيئان.)

(يقف يون جابريال بوركمان بجوار البيانو ويداه خلف ظهره ويصغي إلى فريدة فولدال وهي جالسة تعزف المقاطع الأخيرة من "رقصة مكابري".)

(يبدو يون بوركمان رجلا حازما و قويا، متوسط الطول في العقد السادس، مظهره مميز ويبدو وجهه من الجانب وسيما وعينيه ثاقبتين وشعره أشيب ولحيته مجعدة. يرتدي ملابس سوداء ليست من الطراز الحديث ويضع وشاحا أبيض اللون. فريدة فولدال فتاة جميلة بيضاء في الخامسة عشر من عمرها، تكشف تعبيرات وجهها عن تعب وتوتر وترتدي ملابس رخيصة.)

(عُزفت المقطوعة الموسيقية حتى نهايتها. صمت.)

بوركمان: تفتكري أنا سمعت المقطوعة دي فين أول مرة ؟

فريدة: (تتطلع إليه) لأ، يا أستاذ بوركمان.

بوركمان: في المناجم.

فريدة:(لا تستوعب) فعلا؟ تحت، جوه المناجم؟

بوركمان: ماهو أنا ابن عامل منجم. زي ما إنتي عارفة ولا يمكن ماتعرفيش.

فريدة: لا يا أستاذ بوركمان.

بوركمان: ابن عامل منجم. وكان أبويا بياخدني معاه تحت في المناجم ساعات. هناك المعادن بتغني.

فريدة: فعلا...؟ المعادن بتغني؟

بوركمان:(يوميء) لما بتتفكك مع ضرب الشواكيش .... والصوت عامل زي أجراس نص الليل اللي بتدق عشان تحررها ....عشان كده المعادن بتغني .... من الفرحة .... وبطريقتها هي.

فريدة: والمعادن بتغني ليه يا أستاذ بوركمان؟

بوركمان: عشان عايزة تخرج للنور وتخدم البشر.

(يذرع القاعة جيئة وذهابا ويداه معقودتان خلف ظهره دائما.)

فريدة: (تجلس قليلا ثم تنظر في ساعتها وتنهض) بعد إذنك يا أستاذ بوركمان ...للأسف لازم أمشي.

بوركمان:(يقف أمامها) إنتي عايزة تمشي دلوقتي؟

فريدة:(تضع نوتة الموسيقى في الملف) أيوه للأسف لازم أمشي. (يبدو عليها إحراج واضح) طلبوني في مكان تاني بالليل .

بوركمان: طلبوكي في حفلة؟

فريدة: أيوه.

بوركمان: وهاتعزفي في الحفلة دي؟

فريدة: (تعض على شفتها) أيوه هاعزف عشان يرقصوا.

بوركمان: للرقص بس؟

فريدة: أيوه، همّا أصلهم عايزين يرقصوا بعد العشا.

بوركمان:(يقف ويتطلع إليها) وإنتي بقى بتحبي تعزفي موسيقى الرقص. وتلفي على البيوت بالشكل ده؟

فريدة: (ترتدي المعطف) أيوه لما بيجيلي طلب بيكون فيه.... فيه مكسب بسيط كده.

بوركمان:(متحققا) وهو ده بقى كل اللي بتفكري فيه وإنتي بتعزفيلهم عشان يرقصوا؟

فريدة: لأ، في الحقيقة ..أكتر حاجة بافكر فيها وأصعب حاجة بالنسبة لي هي إني مش عارفة أرقص معاهم أنا كمان.

بوركمان: (يوميء) هو ده بالظبط اللي عايز أعرفه. (يروح ويجيء بقلق) أيوه، أيوه، أيوه.....أصعب حاجة إن الواحد مايقدرش يشارك في الرقص هو كمان. (يقف) ولكن فيه حاجة بتعوضك يا فريدة.

فريدة: (تتطلع إليه متسائلة) وإيه هي يا أستاذ بوركمان؟

بوركمان:إن أنتي عندك موهبة في الموسيقى أكتر بكتير من كل اللي بيرقصوا.

فريدة:(تحاول إخفاء ابتسامة) أيوه يعني!! ، لكن ده مش أكيد.

بوركمان (يشهر سبابته محذرا) أوعي تشكي في موهبتك في يوم من الأيام.

فريدة: بس يا خسارة! طالما ماحدش عارف حاجة عنها.

بوركمان: لكن إنتي عارفة وده كفاية.... وهاتعزفي فين الليلة دي؟

فريدة: هناك عند المحامي هانكالز.

بوركمان:(يرمقها بنظرة خاطفة وحذرة) إيه ؟ بتقولي هانكالز.

فريدة: أيوه.

بوركمان: (بابتسامة متقطعة) إيه ده هو فيه ناس غريبة بتروح لبيت الراجل ده؟ هو بيقدر يخلّي الناس تزوره؟

فريدة: أيوه، حسب كلام مدام ويلتون فيه ناس كتير بتروحله بيته.

بوركمان: (بحماس) والناس دول نوعهم إيه ياترى ؟ تقدري تقوليلي؟

فريدة: (بشيء من التوتر) لأ، ما اعرفش مين دول . لكن ..أيوه... صح... كل اللي أعرفه إن الطالب بوركمان هايروح هناك الليلة دي.

بوركمان: (مأخوذا) إيه ؟إيرهارت! إبني؟ معقولة دي؟

فريدة: أيوه، هو هايروح هناك.

بوركمان: وعرفتي كده إزاي؟

فريدة: هو قاللي كده بنفسه من ساعة.

بوركمان: وياترى هو هناك النهارده؟

فريدة: أيوه، هو قضى اليوم كله عند مدام ويلتون.

بوركمان: (متسائلا) وما تعرفيش إذا كان جه هنا ولا لأ؟ أقصد إذا كان جه واتكلم مع حد تحت في الدور الأول؟

فريدة: أيوه، هو عدى عشان يشوف مدام بوركمان وقعد شوية.

بوركمان: (بمرارة) آه...، مفهوم.

فريدة: وأفتكر كان معاها ست غريبة.

بوركمان: فعلا ؟ أكيد فيه ناس بتيجي تزور الهانم من وقت للتاني.

فريدة: تحب أقول للطالب بوركمان لو قابلته إنه يطلعلك فوق؟

بوركمان: (بصوت أجش) ما تقوليش أي حاجة خالص! نهائي. اللي عايز يشوفني يطلعلي من نفسه أنا مش هاطلب حاجة من حد.

فريدة: طيب، طيب. أنا مش هاقوله حاجة.... تصبح على خير يا أستاذ بوركمان.

بوركمان:(يمشي جيئة وذهابا في الغرفة وهو يهمهم) تصبحي على خير.

فريدة: عندك مانع أنزل من السلم الوراني؟ عشان أسرع .

بوركمان:.... استعملي السلم اللي إنتي عايزاه. تصبحي على خير.

فريدة: تصبح على خير يا أستاذ بوركمان.

(تخرج من الباب الصغير جهة اليسار)

(يتجه بوركمان نحو البيانو ساهما ويهم كي يغلقه ولكنه يغير رأيه، يتلفت حوله شاردا ويذرع الغرفة جيئة وذهابا من الزاوية التي بها البيانو إلى الزاوية الخلفية جهة اليمين. ويظل يروح ويجيء قلقا ومتوترا وبلا توقف. ثم يتوجه إلى المكتب وينصت من وراء الباب، وبسرعة يمسك بمرآة يدوية ويضبط الوشاح الذي على رقبته.)

(تُسمع طرقة على الباب. ينظر بوركمان بسرعة نحو الباب ولكنه لا يقول شيء.)

(وبعد قليل تُسمع طرقة أخرى قصيرة ولكنها أقوى.)

بوركمان: (يقف بجوار المكتب واضعا يده اليسرى عليه ويضع قبضته اليمنى تحت ملابسه عند صدره) ادخل!

(يدخل فيلهالم فولدال القاعة ببطء. وهو رجل منحني الظهر وله عينان زرقاوان هادئتان وشعره أشيب خفيف وطويل يتدلى حتى أسفل ياقة معطفه، يضع ملفا تحت إبطه ويمسك بقبعة مصنوعة من اللباد ويرتدي نظارة كبيرة رفعها على جبهته.)

بوركمان: (يغير اتجاهه وينظر إلى القادم بشيء من الإحباط ثم يبدو على وجهه شيء من السعادة) أوه، هو إنت اللي جيت.

فولدال: مساء الخير يا يون جابريال. أه، أنا طبعا .

بوركمان: (بنظرة صارمة) أنا شايف إنك متأخر عن ميعادك شوية النهاردة.

فولدال: أيوه، المسافة مش قصيرة زي ما أنت عارف خصوصا للي هيتمشاها.

بوركمان: لكن إنت بتمشي ليه يا فيالهلم؟ الكاريته قريبة منك.

فولدال: المشي صحي أكتر بالنسبة لي، وفي نفس الوقت باوفر عشر قروش.... مش فريدة كانت لسه هنا بتعزفلك؟

بوركمان: هي لسه ماشية حالا. إنت ما قابلتهاش بره؟

فولدال: لأ، أنا ما شفتهاش من زمان، من ساعة ما راحت بيت مدام ويلتون.

بوركمان:(يجلس على الأريكة ويشير إلى أحد المقاعد) ممكن تقعد إنت كمان يا فيلهالم.

فولدال: (يجلس على حافة المقعد) شكرا. (ينظر إليه بحزن) ياه، ما تتصورش قد إيه أنا حاسس إن أنا وحيد من ساعة ما فريدة سابت البيت.

بوركمان: كلام فارغ ...؟ ما أنت عندك ولاد كتير غيرها.

فولدال: يا ربي! أنا فعلا عندي.... خمسة بحالهم. بس فريدة هي الوحيدة اللي كانت بتفهمني شوية. (يهز رأسه بحزن) التانين مش فاهمني خالص.

بوركمان: (بحزن وساهما وهو ينقر بأصابعه على المنضدة) بالظبط كده. أيوه، هي دي اللعنة اللي بيتحملها بعضنا... إحنا البشر المختارين بنلاقي العامة والأغلبية ..... كل الطبقة المتوسطة.... مش فهمانا يا فيلهالم.

فولدال: (مستسلما) مش مهم الفهم .... مع شوية صبر ووقت ممكن الموضوع ده يمر. (يختنق صوته بالدموع) لكن فيه اللي أمر من كده.

بوركمان:(بحماس) مافيش حاجة أمر من كده!

فولدال: لأ، فيه يا يون جابريال. حصل مشهد في البيت..... قبل ما آجي هنا .

بوركمان: فعلا؟ إيه؟

فولدال:(ينخرط في البكاء) أصلهم في بيتي.... بيكرهوني.

بوركمان: (ينهض بسرعة) بيكرهوك ليه بس ....؟

فولدال:(يمسح دموعه) أنا لاحظت كده من زمان. لكن النهاردة كان باين قوي.

بوركمان:(يصمت قليلا) على فكرة إنت اختارت غلط لما إتجوزت.

فولدال: أنا ماكانش قدامي أي اختيار تقريبا. وعموما..... كان لازم أتجوز لما بدأت أكبر في السن.... وساعتها كنت منهار خالص....

بوركمان: (ينهض وقد انتابه غضب شديد) هو ده إتهام ليا أنا؟ ولا لوم ...!

فولدال:(منزعج) لا، حاشا لله! يا يون جابريال....!

بوركمان: أيوه، ماإنت قاعد تفتكر الكوارث اللي حصلت في البنك.....!

فولدال:(بهدوء) لكن أنا مش بالومك عليها! حاشا لله.....!

بوركمان:(مزمجرا ويعود لمقعده) طيب. تمام.

فولدال: وأوعى تفتكر إني أنا زعلان بسبب مراتي لأن الغلبانة ماكملتش تعليمها الغلبانة دي .... لكن هي كويسة جدا ..... الأولاد همّا اللي ....

بوركمان: أمم..أنا توقعت كده برضه.

فولدال: أصل الأولاد.... مثقفين أكتر وبيواجهوا تحديات أكبر في الحياة.

بوركمان:(ينظر إليه بشفقة) وهو ده سبب يخللي ولادك يكرهوك يا فيلهالم؟

فولدال:(يهز كتفيه مستهجنا) طبعا ماهوأنا ما ماعملتش أي مستقبل مهني ولازم أعترف إن....

بوركمان:(يقترب منه ويضع يده على ذراعه) همّا مايعرفوش إنك كتبت مسرحية درامية في شبابك؟

فولدال: أيوه، طبعا. لكن واضح إن حتى ده ماعجبهمش.

بوركمان: يبقى همّا مش فاهمين حاجة . لأن المسرحية اللي كتبتها كويسة؟ أنا متأكد جدا.

فولدال:(تنفرج أساريره) إنت شايف إنها كويسة جدا مش كده يا يون جابريال؟ يا الله! لو بس أقدر أحطها على خشبة المسرح....(يفتح الملف ويقلب فيه بحماس) بص! خليني أوريك حاجة أنا عدّلتها ....

بوركمان: إيه ده إنت جبتها معاك وللا إيه؟

فولدال: أيوه، جبتها معايا. فات وقت طويل من ساعة ما قريتهالك أخر مرة. عشان كده فكرت إني ممكن أقرالك فصل ولا فصلين.....

بوركمان: (ينهض ويشير بالنفي) لأ ..لأ ، ما تقراش خليها مرة تانية.

فولدال: طيب،طيب. زي ما أنت عايز.

(يذرع بوركمان الغرفة جيئة وذهابا ويجمع فولدال أوراق المسرحية ثانية.)

بوركمان:(يقف أمامه) كان عندك حق في اللي إنت لسه قايله .... إنت ما عملتش لنفسك أي مستقبل مهني بس أنا أوعدك يا فيلهالم أول ما أرجع وأقدر أقف على رجليا .....

فولدال: (يهم بالنهوض) صحيح ؟..طيب ، شكرا....!

بوركمان:(يلوح بيده)ي خليك قاعد زي ما أنت .(بانفعال متزايد) لما أقف على رجليا (إنجيل).... لما يعترفوا بإنهم ما يقدروش يستغنوا عني... ولما ييجوا لغاية عندي في القاعة دي .... يزحفوا ويترجوني عشان أمسك البنك تاني....! البنك الجديد اللي أسسوه.... ومش عارفين يديروه إزاي.... (يقف بجوار المكتب كالسابق ويضرب على صدره) أنا هاقف هنا واستقبلهم! وهايتذاع في البلد كلها إيه هي الشروط اللي فرضها عليهم يون جابريال عشان يدير.... (يتوقف فجأة ويحملق في فولدال) أنت بتبصلي بشك! إنت متخيل إنهم مش جايين؟ أكيد، أكيد، هاييجوا في يوم من الأيام ؟ هو إنت مش مصدق!؟

فولدال: لا والله. طبعا أنا مصدق يا يون جابريال.

بوركمان: (يجلس ثانية على الأريكة) أنا مؤمن جدا إنهم جايين ... ولو ماكنتش متأكد من ده... كنت ضربت نفسي بالرصاص في دماغي .

فولدال:(بقلق) لأ، مافيش داعي للحاجات دي ؟

بوركمان: (مبتهجا) همّا جايين! جايين! هاتشوف! أناباستناهم كل يوم، وكل لحظة. وأديك شايف إن أنا مستعد لاستقبالهم.

فولدال:(متنهدا) ياريتهم ييجوا قريب.

بوركمان:(متململا) أيوه، والزمن بيمر والسنين بتجري والحياة.....أوف،لأ ..... مش قادر أفكر في الموضوع ده! (ينظر إليه) عارف أنا حاسس بإيه اليومين دول؟

فولدال: بإيه؟

بوركمان: حاسس زي ما أكون أنا نابليون اللي اتهزم وبقى عاجز من أول معركة.

فولدال:(يضع يده على الملف) ده هو نفس شعوري برضه.

بوركمان: أه، بس مش زيي بدرجة أقل طبعا.

فولدال: (بهدوء) لكن عالم الكتابة ليه معنى كبير بالنسبة لي يا يون جابريال.

بوركمان: :(بحماس) أيوه، لكن كنت أقدر أجيب ملايين! كل المناجم اللي كان ممكن أستولى عليها! مناجم جديدة مالهاش نهاية! الشلالات! المحاجر! طرق التجارة! خطوط الملاحة حول العالم الواسع! كل ده، كل ده كنت أنا اللي هاديره لوحدي.. أنا بس!

فولدال: أه، أنا عارف. مافيش حاجة كانت ها تقدر تقف في طريقك.

بوركمان: (يفرك كفيه) ودلوقتي اتكتب عليا أقعد هنا زي الطير اللي اتصاب برصاصة وقاعد أتفرج على كل اللي بيسبقوني .... و همّا بياخدوا مني كل حاجة حتة حتة.

فولدال: وهو ده اللي بيحصللي أنا كمان .

بوركمان:(دون أن ينظر إليه) تخيل قد إيه أنا كنت قربت من الهدف! لو كانوا سابوني تمن أيام بس كنت أخدت قرار! وكنت هاقدر أغطي كل الودايع، وهارجّع كل الأصول والأسهم تاني مكانها وكنت على وشك أنقذ كل الشركات الكبيرة. ماكانش حد منهم هايخسر مليم واحد.

فولدال: أه ، يا ربي... . قد إيه إنت كنت قربت من هدفك لحد ما ...

بوركمان:(بغضب مكتوم) لحد ما حصلت الخيانة! في نفس اليوم اللي كنت هاخد فيه القرار!(ينظر إليه) تعرف إيه أبشع حاجة ممكن الانسان يعملها وتجيبله العار؟

فولدال: لأ، قولي.

بوركمـان: ولا القتـل، ولا السـرقة ولا اقتحـام البيـوت، ولا حتـى شـهادة الـزور لأن الجـرايم اللـي زي دي بتحصـل مـع أشـخاص بيكرهوهم أو ما يفرقوش معاهم أو ما بيتعاملوش معاهم .

فولدال: أمّال إيه هو الأبشع يا جون جابريل ؟

بوركمان:(مؤكدا) الأبشع هو خيانة الثقة اللي الواحد إداها للصديق.

فودال:(يفكر قليلا) أيوه، صح.بس إنت عارف إن ....

بوركمان:(ثائرا) إيه بقى اللي إنت عايز تقوله؟! باين عليك عايز تقول حاجة. بس ده مش هايفيد. النـاس اللـي كـان لـيهم ودايـع في البنك كانت هاترجعلهم .... كل مليم! أيوه، تعرف... أفظع حاجة ممكن يعملها الواحد هو إنـه يستغل جوابـات صـاحبه ويكشـفها للعالم. الجوابات دي كانت بين شخصين بيتوشوشوا فـي أوضـة فاضية وضلمة ومقفولـة. الراجل اللـي يعمـل كده شـخص مسمم وفاسد وأخلاقه أسوأ من أخلاق النصابين. وده كان صديقي.... ,وهو اللي دمرني.

فودال:أنا عارف مين هو .

بوركمان:ماكانش فيه حاجة باخبيها عنه.ولما جت اللحظة لقيت كل الأسلحة اللي اديتهاله بإيديا... موجهها ليا.

فولدال:أنا عمري ما فهمت ليه هو.... .؟ كان فيه فعلا أيامها إشاعات.

بوركمان: وإيه هي الاشاعات دي بقى؟ قوللي. أنا ماعرفش عنها حاجة عشان أنا اتحبست على طول. إيه هي الاشـاعات دي؟إيـه الاشاعات - اللي النـاس كانت بتقولـها يا فيلهالم؟

فولدال: كانوا بيقولوا إنك هتبقى وزير.

بوركمان: همّا عرضوا عليا فعلا بس أنا رفضت.

فولدال: يعني إنت ما كنتش واقف في طريقه؟

بوركمان:لأ، ومش ده سبب خيانته.

فولدال: يبقى أنا فعلا مش فاهم ....

بوركمان: أنا أقدر أقولك يا فيلهالم إن.....

فولدال: إيه؟

بوركمان: القصة كلها إن كان فيها واحدة ست.

فولدال: واحدة ست ؟ لا، بس يا يون جابريال.....

بوركمان:(مقاطعا) أيوه، أيوه، أيوه.... ما فيش داعي نتكلم تاني عن القصص الغبية دي.... وعموما لا أنا ولا هو بقينا وزراء.

فولدال: بس هو وصل لأعلى المناصب.

بوركمان: ووقعت أنا في القاع.

فولدال: فعلا ، ده مشهد حزين....

بوركمان: (يوميء له) بيتهيألي حزين زي مشهدك إنت .

فولدال: (بسذاجة) أيوه، على الأقل زيه.

بوركمان: (يضحك بهدوء) لكن لو بصيتله من ناحية تانية هاتلاقي المشهد كأنه مشهد كوميدي.

فولدال: والمشهد ده بقى كوميدي ليه ؟

بوركمان: أه، حسب الوضع الحالي أقدر أقولك إن....

فولدال: إن إيه؟

بوركمان: طيب، إنت ما قابلتش فريدة لما جيت.

فولدال:لأ.

بوركمان: واحنا قاعدين هنا دلوقتي هي بتعزف هناك عنده، عند الراجل اللي خاني ودمرني.

فولدال:ماعنديش أي فكرة عن الموضوع ده.

بوركمان: أيوه، هي أخدت النوتة الموسيقية وسابتني .... وراحت البيت الكبير.

فولدال:(معتذرا) أيوه، أيوه. بس دي طفلة غلبانة .

بوركمان: تقدر تخمن فريدة هاتعزف لمين ... من ضمن الموجودين هناك؟

فولدال: لأ.

بوركمان: لابني.

فولدال: إيه؟!

بوركمان: أيوه، إيه رأيك بقى في الموضوع ده يا فيلهالم؟ إبني من ضمن اللي هيرقصوا هناك الليلة . مش ده مشهد كوميدي بذمتك .. زي ما قلتلك؟

فولدال: أيوه، بس هو أكيد ما يعرفش حاجة عن اللي حصل.

بوركمان: إيه هو اللي مايعرفوش؟

فولدال: مايعرفش إزاي هو .... الراجل ده.... وعموما....

بوركمان: تقدر تقول اسمه... بقيت أقدر أسمع اسمه دلوقتي.

فولدال: أنا عارف أن إبنك ما يعرفش حاجة عن اللي حصل يا يون جابريال.

بوركمان: (بحزن، يجلس وينقر المنضدة) هو عارف كويس قوي .... أنا متأكد زي ما أنا متأكد إني قاعد هنا معاك.

فولدال: يعني إنت كنت متوقع إنه ها يزور البيت ده؟

بوركمان:(يهز رأسه بالنفي) نظرة إبني للموضوع تختلف عن نظرتي. أقسملك إنه واقف مع أعدائي! وهو شايف زي بقية الناس إن المحامي هانكالز كان بيقوم بواجبه لما خاني....

فولدال: بس يا حبيبي مين فهمه الموضوع بالطريقة دي ؟

بوركمان: مين؟ إنت نسيت مين اللي رباه؟ في الأول خالته... هي اللي ربته .... وهو عنده ست أو سبع سنين، وبعد كده.... أمه!

فولدال: أنا شايف إنك بتظلمهم في الموضوع ده .

بوركمان: (يستشيط غضبا)أنا عمري ما ظلمت إنسان أبدا! همه الاتنين قوموه عليا، اسمع اللي بقولهولك!

فولدال:(بهدوء) طيب، طيب، طيب. يبقى همّا اللي عملوا كده.

بوركمان:(ساخطا) ياه على الستات دول ! همّا دايما بينغصوا علينا حياتنا وبيصعبوها!... وبيلعبوا بينا وبيقفوا في طريق نجاحنا.

فولدال: مش كلهم.

بوركمان: فعلا؟ طب قوللي اسم واحدة تنفع في أي حاجة!

فولدال: مافيش، هو ده الموضوع. القليلين اللي عرفتهم ما ينفعوش في حاجة.

بوركمان:(يتأفف بازدراء) طيب، يبقى إيه الفايدة منهم بقى؟! إيه فايدة الستات دول.... طالما ماينفعوش في حاجة!؟

فولدال:(بعطف) لا يا يون جابريال هتكون ليهم فايدة برضة . فكرة وجود ست نقية موجودة في مكان حتى لو بعيد .... فكرة جميلة ومباركة.

بوركمان:(يتحرك متململا على الأريكة) يوه، بطّل بقى أسلوب الشعر ده!

فولدال: (ينظر إليه وقد شعر بالإهانة) إنت بتسمّي ده أسلوب شعري؟

بوركمان: (بقسوة) أه! ماهو الأسلوب ده هو اللي خللاك مش عارف تتقدم. لو بطلت كل ده .... كنت هاقدر أساعدك... وأوقفك تاني على رجليك.

فولدال: (يغلي من الداخل) لا ، مش هاتقدر تعمل كده.

بوركمان:لأ، هاقدر لما ترْجعلي سلطتي تاني.

فولدال: بس دي حاجة بعيدة قوي.

بوركمان: (بحماس) بقى كده أوعى تكون فاكر إن ده مش هايحصل؟ رد عليا!

فولدال: مش عارف أرد أقول إيه؟

بوركمان:(ينهض، ببرود وبجلال، مشيحا بيده نحو الباب) يبقى امشي أنا ما بقيتش محتاجلك بعد كده.

فولدال:(ينهض من المقعد) مابقتش محتاجلي.....!

بوركمان: طبعا طالما إنت مش مصدق إن مصيري هايتغير يبقى....

فولدال: ماينفعش أصدق حاجة ضد العقل!.... كان لازم القانون يبرأك من....

بوركمان: كمل! كمل!

فولدال: صحيح أنا ما كملتش تعليمي في القانون لكن أنا قريت كفاية عشان ....

بوركمان:(بسرعة) قصدك إن ده مستحيل؟

فولدال: من الناحية القانونية مش هاينفع .

بوركمان: همّا مش محتاجين يعملوا ده مع الرجّالة المميزين.

فولدال: القانون مايهموش الكلام ده .

بوركمان: (بقسوة وبحزم)إنت مش مؤلف موهوب يا فيلهالم.

فوالدال:(يطبق يداه بطريقة لا إرادية) إنت بتتكلم جد؟

بوركمان:(يغير الموضوع دون أن يجيب على السؤال) إحنا بنضّيع وقت بعض، وياريت ماتجيش هنا تاني.

فولدال: كده ؟ يبقى أنت عايزني أمشي وأسيبك؟

بوركمان:(دون أن ينظر إليه) باقولك مابقيتش محتاجلك.

فولدال: (يأخذ الملف برفق) طيب ، طيب. ماشي زي ما أنت عايز.

بوركمان: واضح إنت كنت بتكدب عليا طول الوقت.

فولدال:(يهز رأسه بالنفي) أنا عمري ما كدبت عليك أبدا يا يون جابريال.

بوركمان: إنت مش كنت دايما بتقعد تكلمني عن الأمل والايمان وثقتك فيا.... ده كله كان كدب وللا إيه ؟

فولدال:ماكانش كدب. طول ما أنت مؤمن بيا أنا هافضل مؤمن بيك.

بوركمان: يعني إحنا الاتنين كنا بنخدع بعض. ويمكن كمان كنا بنخدع نفسنا...إحنا الاتنين.

فولدال: لكن دي مش صداقة حقيقية يا يون جابريال؟

بوركمان: (يبتسم بمرارة) أيوه طبعا ، الخداع.... هو الصداقة. عندك حق. أنا عشت ده مرة قبل كده .

فولدال: (ينظر إليه) كده برضه؟ أنا مش مؤلف موهوب! وقدرت تقولها بالقسوة دي.

بوركمان:(بلهجة أرق) يعني ..أنا مش خبير في الأمور دي.

فولدال: أو يمكن تكون خبير أكتر مما تتصور.

بوركمان:أنا؟

فولدال: (بهدوء). تعرف أنا من جوايا ... كنت باشك... كل شوية . الشك الفظيع ده ....إن يمكن أنا اللي دمرت حياتي بسبب الوهم ده.

بوركمان: طالما بتشك في نفسك يبقى إنت بتنهار.

فولدال: وأنا كنت باجيلك هنا عشان استريح وأتسند عليك عشان إنت كنت مصدقني . (يأخذ قبعته) .... لكن دلوقتي خلاص إنت بقيت غريب بالنسبة لي .

بوركمان: وإنت كمان بقيت غريب عليا -؟

فولدال: خلاص على كده تصبح على خير يا يون جابريال.

فولدال: تصبح على خير يا فيلهالم.

(يخرج فولدال من جهة اليسار)

(يقف بوركمان وينظر في اتجاه الباب المغلق؛ يهم بالتحرك وكأنه يريد أن ينادي على فولدال كي يعود ثانية ولكنه يتراجع، ثم يذرع الغرفة جيئة وذهابا ويديه خلف ظهره. ثم يقف بجوار المنضدة التي بجوار الأريكة و يطفئ المصباح. أصبحت القاعة شبه مظلمة. بعد برهة، تُسمع طرقة على الباب المغطى بورق الحائط، جهة اليسار إلى الخلف.)

بوركمان:(بجوار المنضدة، مندهشا، يستدير، ويسأل بصوت مرتفع) مين اللي بيخبط؟

(لم يتلق إجابة ثم تُسمع طرقة أخرى)

بوركمان:(دون أن يتحرك) مين؟ ادخل ؟

(تظهر إيللا رينتهايم عند الباب وفي يدها شمعة مضاءة. ترتدي ملابس سوداء كما كانت من قبل، وقد طرحت معطفها حول كتفيها)

بوركمان:(يحملق فيها) أيوه، مين إنتي؟ إنت عايزة مني إيه!؟

إيللا رينتهايم:(تغلق الباب وتقترب منه) ده أنا يا بوركمان.

(تضع الشمعة على البيانو وتظل واقفة هناك)

بوركمان:(يقف مصعوقا، يحدق فيها بثبات، وبصوت شبه هامس) أوه... إنتي يا إيللا؟ أنتي يا إيللا رينتهايم؟

إيللا رينتهايم: أيوه....أنا إيللا "حبيبتك" ....زي ما كنت بتسميني زمان.... من سنين كتيرة .... كتيرة قوي.

بوركمان: (كما كان في السابق) أيوه، إنتي يا إيللا.... أنا شايفك دلوقتي.

إيللا رينتهايم: عرفتني؟

بوركمان: أيوه، دلوقتي بدأت ....

إيللا رينتهايم: السنين سابت بصماتها عليا يا بوركمان. مش رأيك كده برضه؟

بوركمان:(مجبرا) أصل انتي اتغيرتي شوية ، أول ما شفتك ...

إيللا رينتهايم: مابقاش عندي الشعر الغامق المموج اللي نازل على رقبتي... شعري اللي كنت بتحب تلفه حوالين صوابعك.

بوركمان:(بسرعة) صح! دلوقتي أنا شايفه يا إيللا... إنتي غيرتي تسريحة شعرك.

إيللا رينتهايم:(بابتسامة حزينة) بالظبط. تسريحة شعري هي اللي فرقت.

بوركمان:(يغير الموضوع) عموما أنا ماكنتش عارف إنك موجودة عندنا.

إيللا رينتهايم: أنا لسة واصلة.

بوركمان: وإيه اللي خلاكي تيجي هنا.... دلوقتي في الشتا؟

إيللا رينتهايم: هاقولك.

بوركمان: إيه؟ إنتي عايزاه حاجة مني؟

إيللا رينتهايم: لوعايزة حاجة منك أنت كمان، ولو اتكلمنا في الموضوع .... يبقى لازم أرجع بالزمن لورا قوي .

بوركمان: ياه..التعب باين عليكي.

إيللا رينتهايم: أيوه، أنا تعبانة.

بوركمان: مش عايزة تقعدي؟ هناك ..... على الكنبة.

إيللا رينتهايم: أه. فعلا شكرا. أنا محتاجة أقعد.

(تمشي إلى اليمين وتجلس في أبعد ركن من الأريكة. يظل بوركمان واقفا بجوار المنضدة ويديه معقودتين خلف ظهره وينظر إليها. صمت قصير)

إيللا رينتهايم: بقالنا كتير ما اتقابلناش ووشنا في وش بعض يا بوركمان .

بوركمان: (بحزن) من زمان جدا. وكل الحاجات البشعة حصلت في الفترة دي.

إيللا رينتهايم: كانت حياة كاملة بيننا. بس حياة ضايعة.

بوركمان: (ينظر إليها بحدة) ضايعة!

إيللا رينتهايم: أيوه ، بالظبط . ضايعة بالنسبة لينا احنا الاتنين .

بوركمان:(بلهجة تجارية باردة) أنا مش شايف إن حياتي ضاعت لسه.

إيللا رينتهايم: طيب، وحياتي أنا؟

بوركمان: إنتي السبب في ضياع حياتك يا إيللا.

إيللا رينتهايم: (تجفل)إنت اللي بتقول كده؟!

بوركمان: طبعا، كنتي تقدري تعيشي سعيدة من غيري.

إيللا رينتهايم: تفتكر كده؟

بوركمان: لو كنتي عايزة.

إيللا رينتهايم:(بمرارة) أيوه، انا عارفة. كان فيه واحد تاني مستني و مستعد يرتبط بيا؟

بوركمان: شفتي؟ لكن إنتي اللي رفضتيه.

إيللا رينتهايم: فعلا أنا رفضته.

بوركمان: رفضتيه مرة ورا مرة. وسنة ورا سنة .....

إيللا رينتهايم:(بازدراء) تقصد إيه؟ .... إن أنا اللي رفضت السعادة سنة ورا سنة؟.

بوركمان: طبعا، كان ممكن تعيشي سعيدة معاه هو كمان. وساعتها كنت أنا هلاقي خلاصي.

إيللا رينتهايم: إنت...؟

بوركمان: أيوه، أنتي كنتي هتخلصيني يا إيللا.

إيللا: قصدك إيه بالكلام ده؟

بوركمان: قصدي إنه افتكر إن أنا السبب في رفضك ليه.... رفضك المستمر . فاخد بتاره مني وكان يقدر يعمل ده بسهولة....لأن كان عنده كل جواباتي اللي أمنته عليها.... وبعد كده استعملها ضدي... وخلّص عليا... شفتي بقى إزاي إن إنتي كنتي السبب في كل ده يا إيللا!

إيللا رينتهايم: بص بقى ، بص يا بوركمان ...وواضح إن يمكن أنا كمان اللي مديونة ليك؟

بوركمان: ده حسب العين اللي بتشوف. أنا عارف كويس إني المفروض أشكرك على حاجات كتير. إنتي اشتريتي المزرعة و الأملاك كلها في المزاد. و سيبتي البيت ليا ... ولأختك. وأخدتي إيرهارت عشان يعيش معاكي... واهتميتي بيه بكل الطرق....

إيللا رينتهايم: .... في المدة اللي اتسمحلي بيها.

بوركمان: اللي أختك سمحتلك بيها. أيوه. أنا عمري ما تدخلت في الأمور العائلية دي. وزي ما قلتلك .... أنا عارف إنتي ضحيتي بإيه عشاني وعشان أختك. إنتي كنتي تقدري... تعملي كده يا إيللا. وماتنسيش إن أنا اللي خليتك تقدري تعملي كده.

إيللا رينتهايم:(بغضب) إنت غلطان قوي يا بوركمان! أنا عملت كده بدافع مشاعري العميقة ناحية إيرهارت ... وعشانك إنت كمان... ده هو اللي خلاني أعمل كده.

بوركمان:(يقاطعها) بلاش نتكلم عن المشاعر يا حبيبتي والحاجات اللي زي دي. أنا قصدي إنك عملتي كده لأن أنا اللي خليتك تقدري تعملي كده.

إيللا رينتهايم: (تبتسم) احم! أقدر، أقدر.....

بوركمان:(بحماس) أيوه، بالظبط. تقدري! .... لما حصلت المعركة الكبيرة.... ولما كان لازم أضحي بقرايبي وأصدقائي .... لما كان لازم استولي .... على الملايين اللي كانت في عهدتي.... حميت كل ممتلكاتك، وكل اللي يخصك .... رغم إن كان ممكن أخدها ... وأستغلها زي ما عملت بكل الفلوس التانية!

إيللا رينتهايم:(بهدوء وبرود) ده صح يا بوركمان.

بوركمان: أيوه ده صحيح. وعشان كده.... لما جم ياخدوني.... لقوا كل أموالك زي ماهي في بدروم البنك وماحدش مسها.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه) وأنا فكرت كتير في الموضوع ده.... ليه حافظت على كل أملاكي؟ أملاكي أنا بس.؟

بوركمان: ليه؟

إيللا رينتهايم: أيوه، ليه؟ نفسي أعرف ياللا قولي.

بوركمان:(بقسوة وبازدراء) يمكن إنتي متخيلة إني عملت كده عشان ألاقي حاجة اتسند عليها بعد كده... لو حصل حاجة.

إيللا رينتهايم: ياخبر، لأ.... أنا ما كنتش بافكر في الأمور دي ساعتها.

بوركمان: خالص، أنا كنت متأكد إني هانتصر.

إيللا رينتهايم :، طيب ليه.....؟

بوركمان:(يهز كتفيه مستهجنا) يا الله يا إيللا .... مش من السهل إن الواحد يفتكر أسباب عدّى عليها عشرين سنة. كل اللي أنا فاكره إن أنا كنت ماشي لوحدي وبافكر في هدوء في كل مشاريعي الكبيرة اللي المفروض كنت هانفذها .... وكنت باتخيل ساعتها إني قائد منطاد... وفي الأيام اللي ماكنتش باقدر أنام فيها كنت باملا بالونة المنطاد بالهوا عشان أطير فوق محيط مجهول وخطير.

إيللا رينتهايم:(تبتسم) طبعا إنت،.. إنت عمرك ما فكرت إنك مش هاتنتصر، مش كده ؟

بوركمان:(بنفاذ صبر) همّا البشر كده يا إيللا. تلاقيهم يشكوا ويأمنوا في نفس الحاجة.(ينظر أمامه ساهما) وعشان كده ماكنتش عايز أخدك لا إنتي ولا أملاكك معايا على المنطاد ده.

إيللا رينتهايم:(بشغف) أنا باسألك ليه؟ قوللي ليه؟

بوركمان:(دون أن ينظر إليها) الواحد ما يحبش يا خد معاه أغلى حاجة عنده في رحلة زي دي.

إيللا رينتهايم: لكن إنت أخدت أغلى حاجة عندك. مستقبلك .....

بوركمان: المستقبل مش دايما بيكون أغلى حاجة عندنا.

إيللا رينتهايم:(بتلهف) ياتري ده كان شعورك ساعتها؟

بوركمان: أيوه ، فعلا .

إيللا رينتهايم: وأنا كنت أغلى حاجة عندك؟

بوركمان: أيوه، واضح إنه كان كده.

إيللا رينتهايم: ورغم كده مرت سنين ورا سنين بعد ما خنتني ... واتجوزت .... واحدة تانية!

بوركمان: خنتك ..... إنتي بتقولي خنتك؟ إنت عارفة كويس إن كان فيه اعتبارات أهم ... أيوه، اعتبارات تانية.... هي اللي اضطرتني أعمل كده ساعتها! لأن من غير مساعدته ماكنتش هاقدر أوصل لأي حاجة

إيللا رينتهايم:(تتمالك) يبقى إنت خنتني ... عشان اعتبارات أهم.

بوركمان: ماكنتش أقدر أرفض مساعدته ... وهو خلاّكي إنتي التمن للمساعدة دي.

إيللا رينتهايم: وأنت دفعت التمن كامل، من غير أي تفاوض.

بوركمان: ماكانش عندي إختيار، إما النصر أو الهزيمة.

إيللا رينتهايم:(بصوت متأثر وهي تنظر إليه) وهو صحيح إن أنا ساعتها كنت أغلى حاجة عندك؟

بوركمان: ساعتها وبعديها.... وبعديها بكتير جدا.

إيللا رينتهايم: ورغم كده - بعتني ؛ عملت صفقة مع راجل تاني كان تمنها حبي. إنت بعت حبي لراجل تاني .... عشان مركز في البنك!

بوركمان:(بحزن وانكسار) كان لازم أعمل كده يا إيللا!

يللارينتهايم:(تنهض من على الأريكة بهياج وعنف) مجرم!

بوركمان:(ينهار ولكنه يتمالك نفسه) أنا سمعت الكلمة دي قبل كده.

إيللا رينتهايم:أوه، ما تفتكرش إني أقصد اللي ارتكبته وكان ضد القانون! ولا استغلالك لكل الأسهم والسندات ... أو أيا كان .... إنت فاكر إن الموضوع ده يهمني!؟ لو كنت خلتني أقف معاك لما الدنيا انهارت حواليك.....

بوركمان:(بشغف) وبعدين يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: صدقني أنا كنت على استعداد أستحمل كل ده معاك. العار والدمار.... كل حاجة، كنت هاساعدك تستحمل ....

بوركمان: كنتي تحبي تعملي كده؟ كنتي تقدري؟

إيللا رينتهايم:كنت أحب وكنت أقدر لأني ساعتها ما كنتش أعرف حاجة عن الجريمة الكبيرة الي ارتكبتها.....

بوركمان:جريمة إيه؟ قصدك إيه؟

إيللا رينتهايم: قصدي الجريمة التي لا تغتفر.

بوركمان:(يحدق فيها) إنتي أكيد اتجننتي.

إيللا رينتهايم:(تقترب منه) أنت قاتل! إنت ارتكبت الخطيئة الكبرى المميتة!

بوركمان: (يتجه نحو البيانو) إنتي بتخرفي يا إيللا!

إيللا رينتهايم: إنت قتلت مشاعر الحب جوايا.(تقترب منه) إنت فاهم ده معناه إيه؟ الإنجيل أتكلم عن خطيئة غامضة لا تُغتفر. أنا ماكنتش فاهمة زمان إيه هي الخطيئة دي؛ ولكن أنا دلوقتي فهمت إيه هي الخطيئة الكبرى التي لا تغتفر... هي جريمة قتل مشاعر الحب جوا إنسان.

بوركمان: وإنتي بتقولي إن أنا عملت كده؟

إيللا رينتهايم: إنت عملت كده فعلا . ما كنتش فاهمة إيه اللي حصلي لغاية الليلة دي . إنت سبتني ورحت لجونهيلد... وساعتها اعتبرت إن ده تغير سريع من ناحيتك وإنها عملت الخطة دي بسبب قسوة قلبها. وبيتهيالي ساعتها أحتقرتك شوية... رغم كل حاجة... لكن دلوقتي فهمت ! إنت خنت الست اللي إنت حبيتها! أنا،أنا، أنا! أغلى حاجة عندك في الوجود وكنت مستعد تضحي بيا عشان خاطر المكسب المادي. دول بقى جريمتين قتل في بعض! إنت قتلت روحك وروحي!

بوركمان:(برباطة جأش وبرود) أنا شايف كويس طبيعة روحك العاطفية القوية يا إيللا. وشايف كويس قوي إن طبيعي إنك تبصي للموضوع كده عشان إنتي واحدة ست. إنتي ما بتهتميش غير بحاجة واحدة في الوجود.

إيللا رينتهايم: فعلا ، أنا مش مهتمة.

بوركمان: إنتي مش مهتمة بأي حاجة غير مشاعر الحب اللي جواكي....

إيللا رينتهايم: فعلا هو ده بس ! ما فيش حاجة غير كده! عندك حق.

بوركمان: لكن لازم تفتكري إن أنا راجل. وإنتي كواحدة ست كنتي أغلى حاجة عندي في الوجود. لكن عند اللزوم ممكن لأي واحدة ست تعوض واحدة تانية.....

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه مبتسمة) وهل ده اللي اكتشفته لما اتجوزت جونهيلد؟

بوركمان: لأ. لكن مهامي في الحياة هي اللي ساعدتني استحمل ده كمان. أنا كنت عايز أسيطر على كل منابع السلطة االلي موجودة في البلد دي، كل الأراضي والجبال والغابات والبحار الغنية بالكنوز..... كنت عايز أسيطر على كل ده وأعمل لنفسي مملكة وأحقق الرفاهية لآلاف من البشر.

إيللا رينتهايم:(تستعيد ذكريات الماضي) أنا عارفة. إحنا قضينا ليالي كتير نتكلم عن أهدافك....

بوركمان: معاكي أنتي كنت باقدر أتكلم يا إيللا.

إيللا رينتهايم: وكنت باضحك على خططك وأسألك لو كنت عايز تصحي الأرواح النايمة في المناجم.

بوركمان:(يوميء) أنا فاكر الكلام ده كويس .(ببطء) كل الأرواح النايمة في المناجم.

إيللا رينتهايم: لكن إنت ماأخدتش العبارة دي على سبيل الهزار. إنت قلتلي: : "أيوه، أيوه يا إيللا، هو ده بالظبط اللي أنا عايزه."

بوركمان: وده فعلا اللي أنا كنت عايزه. أول ما حطيت رجلي على أول سلمة ... كانت كل حاجة معتمدة على راجل واحد بس. كان يقدر وكان عايز يديني منصب في البنك..... لو أنا.....

إيللا رينتهايم: فعلا، ده صحيح! لو إنت اتنازلت عن الست اللي بتحبها.... واللي حبيتك بلا حدود.

بوركمان: أنا كنت عارف قد إيه كان بيحبك. وماكانش ها يقبل بأي شروط تانية.

إيللا رينتهايم: وإنت نفذت.

بوركمان:(بحماس) أيوه، نفذت يا إيللا! حبي في السلطة سيطر عليا وعشان كده نفذت، وكان لازم أنفذ ز ي ما إنتي شايفة؛ كنت مضطر. وهو ساعدني أطلع لغاية نص الطريق للقمة اللي كنت عايز أوصلها. وكنت با طلع خطوة بخطوة ، وسنة ورا سنة....

إيللا رينتهايم: ولغتني أنا من حياتك.

بوركمان: ورغم كده رماني في الحفرة بسببك إنتي يا إيللا.

إيللا رينتهايم:(بعد صمت قصير وهي تتمعن التفكير) يا بوركمان ... انت مش حاسس ان كان فيه لعنة في علاقتنا؟

بوركمان:(ينظر إليها) لعنة؟

إيللا رينتهايم: أيوه، إنت مش شايف كده؟

بوركمان:(على مضض) أيوه. بس ليه؟ (بانفعال) ياه يا إيللا،.... أنا خلاص ما ماعدتش عارف مين فينا اللي صح.....أنا ولا إنتي!

إيللا رينتهايم: إنت اللي مذنب. قتلت جوايا كل أنواع الفرحة.

بوركمان:(بخوف)لا ..لا ما تقوليش كده يا إيللا!

إيللا رينتهايم: على الأقل كل أنواع الفرحة بالنسبة لواحدة ست. ومن ساعتها صورتك جوايا انطفت وشمس حياتي غربت. ويوم ورا يوم بقى من الصعب عليا أكتر وأكتر... لأ ، بقى من المستحيل ... إني أحب أي مخلوق تاني.... لا إنسان ولا حيوان ولا نبات: مافيش غير واحد بس....

بوركمان: ومين الواحد ده؟

إيللا رينتهايم: إيرهارت طبعا.

بوركمان: إيرهارت...؟

إيللا رينتهايم: ايوه إيرهارت... ابنك، ابنك يا بوركمان.

بوركمان: يعني إنتي كنتي بتحبيه للدرجة دي؟

إيللا رينتهايم: وهو أنت فاكر أنا أخدته عندي ليه ؟ واحتفظت بيه على قد ما قدرت ليه؟

بوركمان: أنا كنت فاكر إنها نوع من الشفقة.... زي بقية الحاجات التانية.

إيللا رينتهايم:(بغضب شديد كامن) إنت بتقول شفقة!؟ هاها! أنا عمري ما عرفت الشفقة..... من ساعة ما خنتني . ماعدتش ببساطة أعرفها، لو جالي طفل فقير جعان في مطبخي وهو بردان وبيعيط وبيطلب شوية أكل كنت هاخلي الطباخة تديله الأكل وما كنتش هاحس إني لازم أدخل الطفل ده عندي، وأدفيه جنب دفايتي، ولا كنت هافضل قاعدة مبسوطة لاني شايفاه وهو بياكل لغاية ما يشبع . وعمري ماكنت كده خالص في شبابي، لا، أنا فاكره ده كويس! إنت اللي خلقت جوايا الجفاف والفراغ... وحاجات تانية كتيرة كمان.

بوركمان: ما عدا إيرهارت.

إيللا رينتهايم: أه، ده مش الوضع مع ابنك لكن بالنسبة لكل حاجة تانية، كل حاجة حية. إنت سرقت مني إحساس الأم بالفرحة والسعادة في الحياة وسرقت كمان أحزا ن ودموع الأم، ويمكن دي كانت أكبر خسارة بالنسبة ليا.

بوركمان: فعلا يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: مين عارف؟ يمكن حزن ودموع الأمومة هي أكتر حاجة كان ممكن تفيدني. (بتأثر شديد) بس أنا ساعتها ما قدرتش أستسلم للخسارة دي ساعتها! وده اللي خللاني آخد إيرهارت وكسبته. وكسبت كل قلبه الطفولي الدافي المطمن .... لغاية.... أوه!

بوركمان: لغاية إيه؟

إيللا رينتهايم: لغاية لما أمه ... قصدي أمه اللي ولدته... جت وأخدته مني تاني.

بوركمان: بس ماهو كان كان لازم يسيبك عشان يرجع المدينة تاني.

إيللا رينتهايم: (تفرك يديها) أيوه، لكن أنا ماقدرتش اتحمل إنه يسيبني! ولا اتحمل الفراغ! ولا خسارة قلب ابن!

بوركمان: (يملأ عيناه تعبير شرير) همم.... مافتكرش إنك خسرتيه يا إيللا عشان مش سهل تخسري قلب بسبب الشخص اللي عايش هناك تحت... في الصالون .

إيللا رينتهايم: أنا خسرت إيرهارت هنا. وهي قدرت تكسبه تاني ، وفيه واحدة تانية كمان. ده باين جدا في الخطابات اللي كان بيبعتهالي من وقت للتاني.

بوركمان: يبقى إنتي جيتي هنا عشان تاخديه معاكي للبيت.

إيللا رينتهايم: أيوه، لو كان ده ممكن....!

بوركمان: ده ممكن طبعا لو إنتي عايزة. لأنك أكتر واحدة ليها حق فيه.

إيللا رينتهايم: أوه، حق، حق! ماله الحق بالموضوع ده ؟ لو ما رجعليش بارادته... يبقى مش هايرجعلي خالص وهو ده اللي لازم أعمله! ودلوقتي لازم أكسب قلب ابني من غير ما يكون فيه شريك!

بوركمان: لازم تفتكري إن إيرهارت بقى عنده عشرين سنة دلوقتي. وما تعتمديش على إنك هتفضلي محتفظة بقلبه فترة طويلة من غير شريك زي ما بتقولي!

إيللا رينتهايم:(بابتسامة حزينة) مش مهم احتفظ بيه لفترة طويلة.

بوركمان: فعلا؟ ده أنا تخيلت إن إنتي عايزاه..... عايزاه يفضل معاكي لأخر يوم في عمرك.

إيللا رينتهايم: أنا عايزة كده فعلا. لكن ده مش هيستمر وقت طويل.

بوركمان:(مستغربا) قصدك إيه بالكلام ده؟

إيللا رينتهايم: أظن إنت عارف طبعا إن أنا كنت مريضة في السنين الأخيرة؟

بوركمان: كنتي مريضة ؟

إيللا رينتهايم: إنت ماكنتش تعرف وللا إيه ؟

بوركمان: لا، في الحقيقة.....

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه بدهشة) هو إيرهارت ماقالكش؟

بوركمان: أنا مش فاكر حاجة زي كده دلوقتي.

إيللا رينتهايم: يمكن ماجابش سيرتي خالص.

بوركمان: أه، أفتكر هو أتكلم عنك. لكن أنا ماباشفوش كتير. تقريبا ماباشفوش خالص .... فيه حد تحت بيبعده عني. بيبعده عني. فاهمة طبعا.

إيللا رينتهايم: أنت متأكد من الكلام يا بوركمان؟

بوركمان:أيوه، متأكد طبعا. (يغير لهجته) لكن إنتي طول عمرك كنتي مريضة دايما يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: أيوه، فعلا. ولكن حالتي اتدهورت في الخريف فاضطريت آجي هنا عشان أتكلم مع دكاترة متخصصين .

بوركمان: وعملتي كده؟

إيللا رينتهايم: أيوه، الضهر.

بوركمان: وقالولك إيه؟

إيللا رينتهايم: أكدولي اللي كنت شاكة فيه من زمان ....

بوركمان: وإيه هو ؟

إيللا رينتهايم:(بهدوء و بترو) إن عندي مرض ما لوش علاج يا بوركمان.

بوركمان: ما تصدقيش الكلام ده يا إيللا.

إيللا رينتهايم: هو مرض مالوش لا علاج ولا شفا. الأطباء ما يعرفوش له علاج. مايقدروش يعملولـه أي حاجـة غير إنـهم يسيبوه يتطور. مايقدروش يعملوا حاجة عشان يوقفوه. همّا بيخففوا آلامه شوية بس ودي برضه حاجة كويسة.

بوركمان:أوه، يمكن يكون لسه فيه وقت. صدقيني.

إيللا رينتهايم: ممكن أكمل لغاية نهاية الشتاء. الدكاترة قالولي كده.

بوركمان:(بدون تفكير) طيب..... الشتا طويل جدا.

إيللا رينتهايم: (بهدوء) هو طويل بما فيه الكفاية بالنسبة لي .

بوركمان:(بحماس وهو يراوغ) لكن المرض ده جالك منين؟ إنتي اللي كنتي عايشة حياة صحية ومنظمة ....؟ جالك منين؟

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه) الدكاترة شايفين إني اتعرضت لصدمة عاطفية شديدة في يوم من الأيام.

بوركمان:(ثائرا) صدمة عاطفية! آه، فهمت! يبقى أنا السبب.

إيللا رينتهايم:(بغضب مكتوم) فات أوان مناقشة الموضوع ده! لكن لازم أكسب قلب طفلي الوحيد قبل ما أموت. حاجة صعبة بالنسبة لي إني أفكر إني قربت أودع كل حاجة .....أودع الحياة كلها .... أودع الشمس والنور والهوا، من غير ما أسيب ورايا شخص واحد يفكر فيا، ويفتكرني بحب وحنان.... زيه زي أي ابن بيفكر وبيفتكر أمه اللي ماتت.

بوركمان:(بعد وقفة قصيرة) خديه يا إيللا....لو قدرتي تكسبيه.

إيللا رينتهايم:(بفرحة) إنت موافق؟ هل ممكن تعمل كده؟

بوركمان:(بحزن) أيوه، ودي مش تضحية كبيرة بالنسبة لي لأنه مابقاش بتاعي خلاص .

إيللا رينتهايم: عموما شكرا ، شكرا على التضحية دي!.... لكن فيه حاجة تانية عايزة أطلبها منك، حاجة مهمة بالنسبة لي يا بوركمان.

بوركمان: طيب، قولي؟

إيللا رينتهايم: يمكن تفتكر إنها حاجة طفولية.... ويمكن ماتقدرش تفهمها....

بوركمان: ياللا قولي.... قولي بقى .

إيللا رينتهايم: بعد ما أموت اللي هاسيبه مش هيكون قليل ...

بوركمان: ده صحيح .

إيللا رينتهايم:(بتأثر) وعايزة أسيب كل حاجة لإيرهارت.

بوركمان: صحيح، إنتي ما عندكيش حد أقرب منه.

إيللا رينتهايم:(بدفء) فعلا ، ماعنديش حد أقرب منه.

بوركمان: مابقاش فيه حد من عيلتك. إنتي آخر واحدة.

إيللا رينتهايم:(تومىء ببطء) فعلا. لما أموت ... هايموت معايا اسم عيلة رينتهايم. وقد إيه الفكرة دي بتخنقني. إنى أختفي من الوجود... حتى مجرد الإسم ...

بوركمان:(ينهض منفعلا) أنا عارف إنتي عايزة توصلي لايه!

إيللا رينتهايم:(بتأثر) ما تخليش ده يحصل، خلي إيرهارت يشيل اسمي من بعدي!

بوركمان:إ(ينظر إليها بقسوة) أنا فاهمك كويس. إنتي عايزة تحرري إبني من اسم أبوه. هو ده بقى الموضوع.

إيللا رينتهايم: لأ خالص! أنا كنت مستعدة و كان ها يسعدني إن أنا كمان أشيله ! لكن بالنسبة لأم قربت تموت ..... الاسم مرتبط بحاجة أكتر من اللي تتخيله وتفهمه يا بوركمان.

بوركمان:(ببرود وفخر) طيب يا إيللا. أنا هاكون الراجل اللي شايل اسمه لوحده .

إيللا رينتهايم:(تمسك يده وتضغط عليها) شكرا، شكرا! دلوقتي إحنا سوينا الحساب اللي بينا ! أيوه، أيوه، طبعا! ومش هانتكلم في الموضوع ده تاني إنت عوضتني على قد ما قدرت. ودلوقتي لما أخرج من الحياة دي هايفضل إيرهارت رينتهايم موجود من بعدي!

(يُفتح الباب المغطى بورق الحائط على مصرعيه وتقف السيدة بوركمان عند المدخل وقد غطت رأسها بوشاح كبير)

السيدة بوركمان: (بانفعال شديد) مستحيل إن إيرهارت يشيل الإسم ده!

إيللا رينتهايم:(تتراجع للخلف) جونهيلد!

بوركمان:(بقسوة ومهددا) مش مسموح لحد يطلعلي هنا فوق!

السيدة بوركمان:(تتقدم خطوة) أنا سمحت لنفسي.

بوركمان:(يتقدم نحوها) إنتي عايزة مني إيه؟

السيدة بوركمان: أنا عايزة أحارب وأدافع عنك ضد الشر ده.

إيللا رينتهايم: أسوأ أنواع الشر هو اللي جواكي إنتي يا جونهيلد.

السيدة بوركمان:(بقسوة) بطّلي الكلام ده.(تمد ذراعها متوعدة) أنا باقولك.... هو هايفضل شايل اسم أبوه طول عمره! هايرفعه لفوق ويرجعله شرفه تاني! أنا بس اللي هاكون أمه! أنا و بس! قلب ابني هيفضل ليا أنا... أنا بس و مش لحد تاني.

(تخرج من الباب المغطى بورق الحائط وتغلقه وراءها.)

إيللا رينتهايم:(تحزن وانفعال) يا بوركمان..... الخناقات دي هتدمر إيرهارت. لازم تتفاهم مع جونهيلد. لازم ننزلها حالا.

بوركمان:(ينظر إليها) إحنا؟ قصدك أنا كمان؟

إيللا رينتهايم: أنا وأنت.

بوركمان:(يهز رأسه) هي قاسية ، قاسية زي المعدن الخام اللي أنا كنت باحلم أطلعه من الجبال.

إيللا رينتهايم: طيب حاول دلوقتي!

(بوركمان لا يجيب ويظل واقفا ينظر إليها في شك)

ستار

الفصل الثالث

(غرفة معيشة السيدة بوركمان. المصباح لايزال مضيئا فوق المنضدة التي بجوار الأريكة. وإلى الخلف ، الشرفة الزجاجية التي تطل على الحديقة مظلمة تماما.)

(تدخل السيدة بوركمان من باب الردهة ولايزال الشال فوق رأسها، تدخل من باب غرفة المعيشة وقد انتابها غضب شديد ، تتجه نحو النافذة، وتزيح عنها الستائر جانبا قليلا ، وتطل في الخارج؛ ثم تعود لتجلس بجوار المدفأة غير أنها تنهض بسرعة مرة أخرى وتقرع الجرس. تقف بجوار الأريكة وتنتظر قليلا. لا أحد يأتي، فتقرع الجرس مرة أخرى ولكن بقوة أكثر.)

(بعد قليل تقبل الخادمة من ناحية غرفة المعيشة. يبدو عليها الضيق وآثار النعاس ويبدو أنها ارتدت ملابسها على عجل.)

السيدة بوركمان: (بضيق) كنتي فين يا ميلينا؟ انا رنيت الجرس مرتين!

الخادمة: أيوه يا هانم، أنا سمعته.

السيدة بوركمان: ومع كده ماجتيش.

الخادمة: (بضيق) مانا كان لازم ألبس هدومي الأول.

السيدة بوركمان: طيب ، إلبسي لبس كويس وروحي نادي ابني بسرعة.

الخادمة: (تنظر إليها في دهشة) أروح أجيب الطالب؟

السيدة بوركمان: أيوه، قوليله إنه لازم يجيلي البيت حالا عشان عايزة أتكلم معاه.

الخادمة:(متذمرة) يبقى الأحسن أصحي سواق العربية.

السيدة بوركمان: ليه؟

الخادمة: عشان يجهز العربية. فيه بره عاصفة تلج.

السيدة بوركمان: لا..لا، مش مهم. لازم تروحي بسرعة. المكان عند آخر ناصية.

الخادمة: لأ، ياهانم مش على الناصية.

السيدة بوركمان: طبعا هناك. هو إنتي مش عارفة مكان بيت المحامي هانكالز؟

الخادمة: (بسخرية) طبعا أعرفه. بس مش هو ده المكان اللي موجود فيه الطالب الليلة دي؟

السيدة بوركمان:(باستغراب) ليه ، أمال هيكون فين يعني؟

الخادمة: (بابتسامة) تخيلت إنه موجود في المكان اللي متعود يقعد فيه.

السيدة بوركمان: قصدك فين ؟

الخادمة: عند اللي بيسموها مدام ويلتون.

السيدة بوركمان: مدام و يلتون ؟ إبني ما بيروحش عندها كتير.

الخادمة: (تغمغم بعض الشيء) أنا سمعت إنه بيروحلها كل يوم.

السيدة بوركمان: ده كلام فارغ يا مالينا. ودلوقتي لازم تروحي حالا وهاتيه من بيت المحامي هانكالز .

الخادمة:(تستدير بسرعة) يا الله! هاروح حاضر.

(تهم بالخروج من غرفة المعيشة وفي نفس الوقت يُفتح الباب وتظهر إيللا رينتهايم وبوركمان)

السيدة بوركمان:(تعود خطوة للخلف) إيه ده؟

الخادمة:(بفزع وهي تقبض يديها بشكل لا إرادي) يا ربي!

السيدة بوركمان:(تهمس للخادمة) قوليله لازم ييجي حالا.

الخادمة: (بصوت أخفت) حاضر يا هانم.

(تدخل إيللا رينتهايم ومن ورائها بوركمان بينما تتسلل الخادمة من خلفهم إلى الباب ثم تخرج وتغلقه خلفها.)

السيدة بوركمان: (تتماسك وتلتفت نحو إيللا) هو نازل هنا عندي ليه؟ عايز إيه؟

إيللا رينتهايم: عايز يتفاهم معاكي يا جونهيلد.

السيدة بوركمان: هو عمره ما حاول يعمل كده.

إيللا رينتهايم: معلش هو عايز يتفاهم معاكي الليلةدي.

السيدة بوركمان: آخر مرة وقفنا فيها قدام بعض.... كانت في المحكمة لما طلبوني عشان ياخدوا أقوالي...

بوركمان: (يقترب) لكن الليلة دي أنا اللي هاقول أقوالي .

السيدة بوركمان: (تنظر إليه) إنت!

بوركمان: أنا مش هاتكلم على اللي أنا عملته لأن العالم كله عارف أنا عملت إيه.

السيد بوركمان: (تتنهد) ده صحيح. العالم كله عارف.

بوركمان: لكن همّا مايعرفوش أنا ليه عملت كده، وليه أنا كنت مضطرأعمل كده. الناس ماكنتش فاهمة إنه كان لازم أعمل كده عشاني .....أنا يون جابريال بوركمان ... أنا، ومش حد تاني وده اللي أنا عايز أشرحهولك.

السيدة بوركمان:(تهز رأسها) مافيش فايدة من الكلام . لأن ... مافيش حاجة هاتبرأك ولا حتى الإغراءات والنزوات.

بوركمان: لكن ممكن تبرأ الواحد من وجهة نظره هو .

السيدة بوركمان:(تلوح رافضة) ياه بطل الكلام ده.. أنا فكرت كتير في قصصك السودا دي.

بوركمان: وأنا كمان، في الخمس سنين اللي قعدتهم في الزنزانة وفي أماكن تانية.... كان عندي وقت أفكر في اللي حصل. وكمان طول التمن سنين اللي قعدتهم هناك فوق في الصالة كان عندي وقت أكتر عشان أفكر.أنا راجعت القضية من تاني..... عشان نفسي. كنت باراجعها مرة ورا التانية، وكنت أنا النيابة والمحامي والقاضي وأقدر أقول إني كنت محايد أكتر من أي حد تاني. أنا فضلت أفتش وأراجع كل تصرف عملته وكنت بأدرسه من كل النواحي بقسوة ومن غير رحمة زي أي محامي. والحكم اللي وصلتله هو إن إني ارتكبت ذنب في حق شخص واحد بس هو.... أنا.

السيدة بوركمان: طيب وحقي ؟ وحق إبنك؟

بوركمان: إنتي وهو ضمن كلمة أنا.

السيدة بوركمان: وحق مئات الناس . الناس اللي بيقولوا إنك دمرتهم.

بوركمان:(بمزيد من الحدة) أنا كان عندي السلطة! وكان فيه حاجة بتناديني جوايا! الملايين اللي كانت محبوسة هناك في بطن الجبال كانت بتناديني . كانو بيصرخولي عشان أحررهم! لكن مافيش حد تاني كان سامع صريخهم غيري أنا.

السيدة بوركمان: أه . ماهو ده اللي جاب العار لاسم بوركمان.

بوركمان: ربنا اللي يعلم لو الناس التانيين كان عندهم نفس السلطة بتاعتي ياترى كانوا هيتصرفوا زيي ولا لأ؟

السيدة بوركمان: ما فيش حد تاني يقدر يعمل اللي إنت عملته.

بوركمان: يمكن مافيش، لأن ماحدش فيهم كان عنده قدراتي. ولو كانوا عملوا كده ما كانش هيبقى لنفس الهدف وكانوا هيتصرفوا بشكل تاني . باختصار ... أنا برأت نفسي.

إيللا رينتهايم: (بلطف واستعطاف) وعندك الجرأة تقول الكلام ده يا بوركمان.

بوركمان: (يوميء) أنا تقريبا حكمت على نفسي بالبراءة لكن بعد كده بيجي التأنيب الكبير المدمر.

السيدة بوركمان: وإيه هو؟

بوركمان: إني فضلت قاعد هناك فوق وضيعت تمن سنين غاليين من حياتي! كان المفروض من أول يوم خرجت فيه من السجن إني أخرج للحياة الحقيقة على طول .... أواجه الحقيقة القاسية واللي مافيهاش أي أحلام! كان لازم أبدأ من تحت خالص وأطلع تاني لفوق... أعلى من الأول .... رغم كل اللي حصل.

السيدة بوركمان: آه، كنت هاتعيش بنفس الأسلوب القديم، صدقني؟

بوركمان:(يهز رأسه وينظر إليها وكأنه أكثر وعيا منها) ما فيش حاجة جديدة . واللي حصل زمان .... مش هايحصل تاني أبدا. النظرة الجديدة هي اللي بتغير الأفعال القديمة.... (يتوقف عن الكلام) لكن إنتي مش هاتفهمي طبعا.

السيدة بوركمان:(باقتضاب) لأ، أنا فعلا مش فاهمة.

بوركمان: ما هي دي اللعنة الحقيقية. إني عمري مالقيت حد يفهمني بجد.

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه) ماحدّش خالص يا بوركمان؟

بوركمان: يمكن.... كان فيه شخص واحد بس، زمان قوي لما كنت فاكر إني مش محتاج حد يفهمني. ومن بعده مالقيتش حد تاني أبدا. مالقيتش حد يقظ كفاية عشان ينبهني .... زي منبه الصبح... ويساعدني عشان أرجع تاني أشتغل من الأول بشجاعة.... ويفهمني إن ما فيش حاجة ما تنفعش تتصلح.

السيدة بوركمان: (بضحكة تحمل إزدراء) يعني أنت كنت محتاج لحد من بره يأثر عليك.

بوركمان: (بسخط متزايد) أيوه، كنت محتاج ده لما العالم كله كان بيصرخ فيا باحتقار وبيقول إني وقعت خلاص ومش ها قف تاني على رجليا. وأنا كنت قربت أصدق الكلام ده عن نفسي. (يرفع رأسه) ورغم كده كنت مقتنع جوايا أني هانتصر تاني والفكرة دي هي اللي بتبرأني!

السيدة بوركمان: (تنظر إليه بقسوة) وليه ماجتليش قبل كده وطلبت مني اللي أنت بتسميه تفاهم.

بوركمان: و كان هايفيد ... لو كنت جيتلك؟

السيدة بوركمان:(بإشارة تنم عن الرفض) إنت عمرك ماحبيت حد غير نفسك.... هو ده أساس الموضوع كله.

بوركمان: (بفخر) أنا حبيت السلطة....

السيدة بوركمان:أيوه، السلطة!

بوركمان:..... السلطة اللي باخلق بيها سعادة الناس اللي حواليا! في دواير كل يوم بتوسع حواليا!

السيدة بوركمان: في يوم من الأيام كان عندك سلطة إنك تخلّيني سعيدة، يا ترى استعملتها؟

بوركمان:(دون أن ينظر إليها) فيه ناس لازم تغرق لو غرقت السفينة....

السيدة بوركمان: طيب وابنك! ياتري استخدمت سلطتك... أو كنت عايش وبتتنفس عشان تخليه سعيد؟

بوركمان: أنا ماعرفوش.

السيدة بوركمان: ده صحيح. إنت ما تعرفوش.

بوركمان: (بحدة) مش ده اللي إنتي عملتيه... إنتي أمه.

السيدة بوركمان: (تنظر إليه بتعبير ينم عن التعالي) أوه، إنت ماتعرفش أنا عملت إيه.

بوركمان: إنتي؟

السيدة بوركمان:أيوه، أنا. أنا لوحدي.

بوركمان: طيب قولي.

السيدة بوركمان: أنا اتعاملت مع كل اللي ورثناه منك.

بوركمان: (يضحك ضحكة قصيرة جافة) اللي ورثتوه ؟ معقول؟ إنتي بتتكلمي كأني مت خلاص.

السيدة بوركمان: (مشددة) إنت فعلا مت .

بوركمان: (ببطء) أه، يمكن عندك حق.(بانفعال) لكن لأ، لأ! لسه! أنا كنت قربت جدا جدا إني أموت لكن أنا دلوقتي فقت، فقت تاني. ولسه الحياة قدامي واسعة. وأقدر أشوف الحياة الجديدة المنورة قدامي بتكبر ومستنياني..... هاتشوفي إنتي كمان.

السيدة بوركمان: (ترفع يدها) ما تحلمش أبدا تاني بالحياة! خليك نايم فوق زي ما أنت - في هدوء.

إيللا رينتهايم: (بغضب) ياجونهيلد! يا جونهيلد! ....إزاي تكوني عايزة.....!

السيدة بوركمان: (لا تنصت إليها) عايزة أحط شاهد على قبرك.

بوركمان: قصدك شاهد العار طبعا؟

السيدة بوركمان:(بمزيد من الغضب) أوه، لأ. أوعى تفتكر إن هيكون فيه شاهد معمول من الحجر ولا من المعدن. - أنا مش هاسمح لحد يكتب أي حاجة على الشاهد ده . وهازرع مجموعة من الشجر والشجيرات المتشابكة حوالين قبرك عشان يغطوا على الحاجات السيئة اللي حصلت وتستخبى بعيد عن عيون البشر يا يون جابريال!

بوركمان: (بصوت أجش وقاطع) وهو ده العمل اللي هتقومي بيه باسم الحب؟

السيدة بوركمان: أنا مش هاقدر أعمل كده ولا أجرؤ إني أفكر فيه لكن أنا ربيت حد هايساعدني وهايكرس حياته عشان يعمل ده . وهيعيش حياة نقية سامية ومتألقة عشان يمسح حياتك إنت من على وش الأرض!

بوركمان: (بحزن ومتوعدا) لو قصدك إيرهارت يبقى قولي دلوقتي حالا!

السيدة بوركمان: (تنظر في عينيه نظرة حادة) أيوه، هو إيرهارت. ابني. اللي إنت عايز تضحي بيه ... عشان تكفر عن سيئاتك.

بوركمان:(يلقي بنظرة على إيللا) تكفير عن أسود خطيئة عملتها.

السيدة بوركمان:(رافضة) إوعى تفتكر إنهاخطيئة في حق شخص غريب بس! ياريت تفتكر الخطيئة التي ارتكبتها في حقي أنا! (تنظر إليهما بتعالي) لكن هو مش هيسمعكم! لما أصرخ فيه وأنادي عليه وأنا في مأزق ، هيجي. لأنه هو عايز يكون معايا أنا! عندي أنا ومش عند أي أحد تاني.... (تنصت فجأة وتنادي) أنا سامعاه أهو! هو جه أهو ....! يا إيرهارت!

(يفتح إيرهارت الباب بقوة، ويدخل غرفة المعيشة مرتديا معطفا وقبعة على رأسه)

إيرهارت:(شاحبا وقلقا) يا أمي...! إيه اللي حصل ...!؟ (يرى بوركمان وهو يقف بجوار الباب الذي يؤدي إلى الشرفة الزجاجية التي تطل على الحديقة، يجفل ويخلع القبعة. وبعد فترة صمت يسأل) عايزة إيه مني يا أمي؟ إيه اللي حصل!؟

السيدة بوركمان:(تمد ذراعيها نحوه) أنا عايزة أشوفك يا إيرهارت! عايزاك تفضل هنا معايا....دايما!

إيرهارت:(يتمتم) عايزاني معاكي....؟ دايما! قصدك إيه؟

السيدة بوركمان: عايزاك معايا،عايزاك معايا أنا! لأن فيه حد عايز ياخدك مني!

إيرهارت:(يتراجع خطوة) آه.... إيه ده يعني إنتي عارفة!

السيدة بوركمان: أيوه. وإنت كمان عارف؟

إيرهارت:(يفكر، يتطلع إليها) عارف؟ أيوه، طبعا....

السيدة بوركمان:آها، يبقى دي لعبة متفقين عليها! ومن ورا ضهري! يا إيرهارت، بقى كده يا إيرهارت!

إيرهارت: (بسرعة) طيب قوليلي يا أمي، إيه هو اللي تعرفيه!؟

السيدة بوركمان: أنا عارفة كل حاجة.أنا عارفة إن خالتك جاية هنا عشان تاخدك مني.

إيرهارت: خالتي إيللا!؟

إيللا رينتهايم: ايوه بس اسمعني الأول يا إيرهارت!

السيدة بوركمان: (تواصل الحديث) هي عايزاني أتنازلها عنك. عايزة تبقى أمك بدالي يا إيرهارت!هي عايزاك تكون ابنها هي ومش ابني من هنا ورايح ! عايزاك تورث كل حاجة بعدها وتتخلى عن اسمك وتحمل اسمها هي.

إيرهارت: الكلام ده صح يا خالتي إيللا؟

إيللا رينتهايم: أيوه.... صح.

إيرهارت: أنا ما كنتش أعرف حاجة عن الموضوع ده إلا دلوقتي. إنتي عايزاني أرجعلك تاني ليه ؟

إيللا رينتهايم: عشان أنا حاسة إني باخسرك وإنت هنا.

السيدة بوركمان:(بقسوة) هاتخسريه عشان أنا أكسبه .... أيوه! وده طبيعي جدا.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه متوسلة) إيرهارت، أنا ماقدرش أخسرك. لازم تعرف إني وحيدة .... وإني خلاص باموت.

إيرهارت: بتموتي....؟

إيللا رينتهايم: أيوه قربت . تقدر تفضل معايا حتى آخر لحظة في عمري؟ تفضل معايا أنا وماتسبنيش؟ وتبقي زي ابني....؟

السيدة بوركمان: (تقاطعها) .... وتسيب أمك، وتتخلى عن رسالتك في الحياة كمان؟ إنت عايز كده يا إيرهارت؟

إيللا رينتهايم: أنا محكوم عليا بالموت خلاص. ما ترد عليا يا إيرهارت.

إيرهارت:(بعطف وبتأثر) يا خالتي إيللا....إنتي طول عمرك طيبة معايا قوي. ولما كنت عندك عشت حياة سعيدة من غير أحزان وما افتكرش إن فيه طفل عاش حياته ....

السيدة بوركمان: إيرهارت، إيرهارت!

إيللا رينتهايم: ، قد إيه إنت ابن بار عشان انت شايف ده دلوقتي!

إيرهارت: ..... بس أنا ما أقدرش أضحي بنفسي عشان خاطرك دلوقتي . مستحيل أكرس حياتي عشان أبقى ابنك وبس ....

السيدة بوركمان:(بانتصار) شوفتي بقى !!أنا كنت عارفة كده! مش هاتخديه! مش هاتخديه يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(بحزن) أنا فهمت. إنتي قدرتي تكسبيه تاني.

السيدة بوركمان: أيوه، أيوه.... هو ملكي وهايفضل ملكي! .... مش كده يا إيرهارت ... ؟ لسه قدامنا سكة طويلة نمشيه مع بعض.

إيرهارت:(يصارع نفسه) بس يا أمي فيه حاجة..... الأحسن بقى أقولك على طول إن....

السيدة بوركمان:(بشغف) إن إيه؟

إيرهارت: للأسف السكة اللي هامشيها معاكي هتكون قصيرة يا أمي.

السيدة بوركمان: (تقف مصدومة) قصدك إيه بالكلام ده؟

إيرهارت: (يستجمع شتات نفسه) يا الله يا أمي!.... أنا لسه في عز شبابي ! وانا حاسس إن الهوا اللي في الأوضة هنا هايخنقني في الاخر.

السيدة بوركمان: هنا... عندي أنا!؟

إيرهارت: أيوه، هنا عندك أنتي يا أمي.

إيللا رينتهايم: يبقى خلاص تعالى معايا أنا يا إيرهارت

إيرهارت: لا.. لا ، ياخالتي إيللا! المكان عندك مش هيكون أحسن من هنا خالص هو صحيح مختلف ولكن مش أحسن .. مش أحسن عشاني، المكان هناك... فيه ريحة الورد واللافندر زي هنا بالظبط .... والهوا - اللي هناك زي اللي هنا بالظبط .

السيدة بوركمان:(بدهشة وهي تحاول أن تتماسك) إنت بتقول إن الهوا اللي هناك زي الهوا اللي في صالون مامتك؟

إيرهارت: (بنفاذ صبر) أيوه، ماعرفش اسميه باسم تاني . كل الاهتمام المريض ده... والعبادة... أو أي اسم تاني ، ماعدتش قادر استحمل!

السيدة بوركمان: (تنظر إليه بجدية شديدة) هو إنت نسيت رسالتك إيه في الحياة يا إيرهارت؟

إيرهارت: (بغضب) لا، الأحسن تقولي إنتي خليتي رسالتي إيه في الحياة ! إنتي، إنتي اللي كنتي إرادتي ! وعمرك ما سمحتيلي أبدا تكون ليا إرادة بس أنا دلوقتي مابقتش مستحمل! أنا لسه شاب! ماتنسيش ده يا أمي! (بنظرة مهذبة تحمل اهتماما نحو بوركمان) أنا مش ها ضحي بحياتي عشان أكفر عن ذنوب ناس تانية مهما كانوا.

السيدة بوركمان: (بتوتر متزايد) ومين اللي غيرك كده يا إيرهارت؟

إيرهارت: (مذهولا) مين....؟ مش ممكن يكون أنا اللي ....؟

السيدة بوركمان: لأ، لأ، لأ! فيه حد غريب سيطر عليك وأنا مش قادرة أسيطر عليك خلاص... ولا حتى أمك اللي ربتك.

إيرهارت: (بتحد شاق) أنا تحت سيطرة نفسي يا أمي! وتحت إرادتي أنا!

بوركمان: (ينظر نحو إيرهارت) يمكن وقتي أنا كمان جه.

إيرهارت: (بتحفظ وبأدب محسوب) يعني إيه....؟ هو بابا يقصد إيه؟

السيدة بوركمان:(بازدراء) أيوه فعلا، ده أنا كمان باسأل نفس السؤال.

بوركمان:(يحافظ على تماسكه) اسمع يا إيرهارت،... تحب تيجي معايا؟ مش ممكن أي شخص يقوم بعد ما يقع عن طريق شخص تاني. الكلام ده مجرد أحلام فارغة حطه في دماغك.... هنا تحت في الهوا اللي بيخنق. لو قدرت تعيش حياتك زي القديسين... يبقى إنت مش هاتفيدني بحاجة.

إيرهارت:(باحترام محسوب) كلامك صح.

بوركمان: فعلا ، ومش هايفيدني إني أضيع حياتي في الندم. أنا حاولت أساعد نفسي بالأحلام والأمل....لكن كل دي حاجات مانفعتش وعشان كده عايز أخرج من الأحلام دي.

إيرهارت: (بإنحناءة خفيفة) يعني إنت عايز إيه... عايز إيه دلوقتي يا بابا؟

بوركمان: عايز أقف على رجليا تاني. و أبدأ من الأول خالص ، الإنسان ممكن يكّفر عن ذنوب ماضيه بالحاضر والمستقبل. بالعمل.... بالعمل المستمر اللي كان في شبابي هو الحياة كلها. ودلوقتي يا إيرهارت... تحب تيجي معايا وتساعدني في حياتي الجديدة؟

السيدة بوركمان: (ترفع يدها محذرة) أوعى تعمل كده يا إيرهارت!

إيللا رينتهايم:(بحنان) لأ،لأ. إعمل كده ! ساعده يا إيرهارت!

السيدة بوركمان: وهاتستحملي ؟ ده إنتي الوحيدة فينا اللي هتموتي قريب.

إيللا رينتهايم: مش مهم أنا.

السيدة بوركمان: أيوه، طبعا، طالما مش أنا اللي هاخده منك.

إيللا رينتهايم: بالظبط يا جونهيلد.

بوركمان: تحب تعمل كده يا إيرهارت؟

إيرهارت:(يعتصره الألم) يا بابا .... أنا ما قدرش أعمل كده دلوقتي. ده مستحيل!

بوركمان: أمال عايز تعمل إيه؟

إيرهارت: (بحماس) أنا لسه شباب! أنا عايز أعيش ولو لمرة أنا كمان! عايز أعيش حياتي!

إيللا رينتهايم: مش عايز تضحي بكام شهر عشان تنوّر حياة شخص تاني بدل ما تكون مضلّمة وفاضية؟

إيرهارت: يا خالتي،أنا ماقدرش حتى لو كنت عايز أعمل كده.

إيللا رينتهايم:ولا حتى عشان شخص بيحبك جدا؟

إيرهارت : أقسملك يا خالتي إيللا... مش هاقدر.

السيدة بوركمان: (تنظر إليه بحدة) وكمان ما عدتش مرتبط بأمك.

إيرهارت: ماما، أنا هافضل دايما مرتبط بيكي يا أمي لكن مش هاقدر أعيش حياتي ليكي إنتي وبس . دي مش حياة بالنسبة لي.

بوركمان: طيب تعال معايا أنا! الحياة، الحياة يا إيرهارت هي العمل. يالا تعالى نخرج للحياة ونشتغل مع بعض!

إيرهارت:(بلطف) لأ، أنا مش عايز أشتغل دلوقتي! أنا لسه صغير! وماكنتش فاهم كده زمان ولكن دلوقتي فهمت أخيرا . مش هاشتغل دلوقتي. أنا عايز أعيش، أعيش، أعيش!

السيدة بوركمان: (تخرج منها صرخة متوقعة) يا إيرهارت.... ها تعيش عشان إيه؟!

إيرهارت:(تلمع عيناه) عشان السعادة يا أمي!

السيدة بوركمان: وأنت فاكر هتلاقيها فين؟

إيرهارت: أنا لقيتها خلاص!

السيدة بوركمان:(تصرخ) يا إيرهارت...!

(يمشي إ يرهارت مهرولا ويفتح باب غرفة المعيشة)

إيرهارت:(ينادي) فاني.... تقدري تدخلي دلوقتي !

(تظهر السيدة ويلتون عند الباب وهي ترتدي معطفا)

السيدة بوركمان:(بيدين مرفوعتين) مدام ويلتون....!

السيدة ويلتون:(بشيء من التردد وبنظرة متسائلة توجهها لإيرهارت) هو أنا ممكن ....؟

إيرهارت: أيوه، دلوقتي تقدري تدخلي. أنا حكيتلهم على كل حاجة.

(تقبل السيدة ويلتون وتدخل غرفة المعيشة، يغلق إيرهارت الباب خلفها. تنحني قليلا نحو بوركمان الذي انحنى لها بدوره في صمت. صمت قصير)

السيدة ويلتون:(بصوت خافت ولكنه حازم) يعني قلتلهم كل حاجة. وأكيد دلوقتي طبعا بيعتبروني الست اللي جابت التعاسة للبيت ده.

السيدة بوركمان:(ببطء وهي تنظر إليها بقسوة) إنتي دمرتي كل حاجة كنت عايشة عشانها.(ثائرة) بس ده.... مستحيل تماما!

السيدة ويلتون: أنا فاهمة كويس إن ده مستحيل بالنسبة لك يا مدام بوركمان.

السيدة بوركمان: أيوه، إنتي نفسك لازم تقولي إنه مستحيل،ولا إيه ....؟

السيدة ويلتون: أنا عايزة أقول إنه مستحيل تماما، بس هو ده اللي حصل.

السيدة بوركمان:(تلتفت) صحيح ؟إنت بتتكلم جد يا إيرهارت؟

إيرهارت: أيوه، هي دي السعادة بالنسبة لي يا أمي. السعادة الكبيرة في الحياة. ماقدرش أقولك غير كده.

السيدة بوركمان:(تعقد يداها، للسيدة ويلتون) ياه، قدرتي تسحري ابني التعيس وتغريه!

السيدة ويلتون: (ترفع رأسها بتفاخر) أنا ماعملتش كده.

السيدة بوركمان: وكمان بتقولي ماعملتيش كده!

السيدة ويلتون: أيوه، أنا لا سحرتله ولا لعبت بعقله. إيرهارت جالي بإرادته وأنا قابلته في نص الطريق بإرادتي.

السيدة بوركمان:(تنظر إليها بازدراء) أه، أنتي،أه! أنا مصدقاكي.

السيدة ويلتون:(وهي رابطة الجاش) يا مدام بوركمان ..... فيه قوة بتدخل حياة الإنسان وواضح إنك ما تعرفيهاش.

السيدة بوركمان: وممكن أسألك إيه هي القوة دي بقى؟

السيدة ويلتون: هي القوة اللي بتربط بين اتنين ارتباط ما ينفعش يتفك ولا يتحل. ومن غير حسابات.

السيدة بوركمان:(تبتسم) لكن أظن إنك كنتي مرتبطة ارتباط ما ينفعش يتفك ... بحد تاني.

السيدة ويلتون: (باقتضاب) والحد التاني ده سابني ومشي.

السيدة بوركمان: لكن بيقولوا إنه هو لسه عايش.

السيدة ويلتون: لكن هو ميت بالنسبة لي.

إيرهارت:(مقاطعا) أيوه يا أمي هو ميت بالنسبة لفاني هو خلاص مات، والراجل التاني ده مايهمنيش!

السيدة بوركمان:(تنظر إليه بحدة) يعني إنت عارف ...موضوع الحد التاني ده.

إيرهارت: أيوه يا أمي، أنا عارف كل حاجة كويس قوي!

السيدة بوركمان: ورغم كده بتقول إنه مايهمكش.

إيرهارت:(برفض وتحدي) كل اللي أنا باقولهولك إن دي هي السعادة اللي أنا عايزها! أنا شاب! انا عايز أعيش، أعيش، أعيش!

السيدة بوركمان: أيوه إنت شاب يا إيرهارت لكن صغير قوي على كل ده.

السيدة ويلتون: (بحزم وجدية) صدقيني يا مدام بوركمان أنا قلتله نفس الكلام، و شرحتله كل ظروف حياتي بوضوح. وكنت على طول بافكره إن أنا أكبر منه بسبع سنين....

إيرهارت: (مقاطعا) أوه يا فاني! ... أنا كنت عارف كده من الأول.

السيدة ويلتون: ....لكن مافيش حاجة... مافيش حاجة أثرت فيه.

السيدة بوركمان: فعلا؟ ما أثرتش؟ طب ليه مارفضتيهوش نهائي؟ ليه ما قفلتيش الباب في وشه؟ هو ده اللي كان المفروض كنتي تعمليه - وقتها!

السيدة ويلتون:(تنظر إليها وتقول بصوت خافت) ماقدرتش أعمل كده خالص يا مدام بوركمان.

السيدة بوركمان:وماقدرتيش تعملي كده ليه بقى؟

السيدة ويلتون: لأن أنا كمان مالقيتش سعادتي إلا مع الراجل ده.

السيدة بوركمان:(بازدراء) همم .السعادة، السعادة....

السيدة ويلتون: أنا عمري ماعرفت معني السعادة قبل كده. ومستحيل أرفض السعادة دي حتى لو جت لى متأخرة.

السيدة بوركمان: وتفتكري السعادة دي هتستمر قد إيه؟

إيرهارت: (مقاطعا) لو الفترة قصيرة أو طويلة يا أمي... مايهمنيش.

السيدة بوركمان:(بغضب) قد كده إنت أعمى! إنت مش شايف إن كل ده هيوديك على فين؟

إيرهارت: المستقبل مايهمنيش ومش عايز أبص في أي ناحية تانية كمان؟! كل اللي أنا عايزه إنكم تسيبوني أعيش ولو لمرة !

السيدة بوركمان: (بألم) وإنت بتسمي دي حياة يا إيرهارت؟!

إيرهارت: أيوه، هو إنتي مش شايفة قد إيه هي جميلة؟!

السيدة بوركمان:(تعصر كفيها) والعار المدمر ده هافضل شايلاه!

بوركمان:(في الخلف، بقسوة وحزم) اوه... إنتي اتعودتي تشيلي الحاجات دي يا جونهيلد!

إيللا رينتهايم:(ترجوه) يا بوركمان....!

إيرهارت:(يرجوه أيضا) بابا.....!

السيدة بوركمان: هابقى مجبرة أشوف إبني كل يوم قدام عنيا مع واحدة .... مع واحدة ست...

إيرهارت: (يقاطعها بقسوة) إنتي مش مجبرة تشوفي أي حاجة يا أمي! اطمني! أنا مش هافضل هنا بعد كده.

السيدة ويلتون:(بسرعة وبحزم) هنسافر يا مدام بوركمان.

السيدة بوركمان: (يشحب وجهها) وكمان هتسافروا؟! ومع بعض؟

السيدة ويلتون: (تومىء) أيوه، أنا هسافر للجنوب للخارج وهاخد معايا بنت صغيرة وإيرهارت كمان هيجي معانا.

السيدة بوركمان: ييجي معاكي... وكمان هاتخدي بنت صغيرة؟

السيدة ويلتون: إيوه. دي فريدة فولدال الصغيرة اللي كانت عايشة عندي في البيت. أنا عيزاها تسافر بره عشان تدرس الموسيقى.

السيدة بوركمان: وعشان كده هاتخديها معاكي؟

السيدة ويلتون: أيوه، ما أقدرش أسيب البنت الصغيرة دي لوحدها.

السيدة بوركمان: (تكبت ابتسامة) إيه رأيك في الكلام ده يا إيرهارت؟

-

إيرهارت:(بشيء من الحرج، ويهز كتفيه مستهجنا) أيوه يا أمي... طالما فاني عايزة كده فا .....

السيدة بوركمان:(ببرود) ممكن اسأل إنتوا هتسافروا إمتى؟

السيدة ويلتون: هنسافر حالا.... الليلة دي . عربيتي مستنيانا هناك على الطريق... قدام بيت هانكلز.

السيدة بوركمان:(تنظر إليها بتعالي)آها... في المكان اللي عملوا فيه حفلة الليلة دي !

السيدة ويلتون: (مبتسمة) أيوه، ماكانش فيه في الحفلة غير إيرهارت وأنا وفريدة الصغيرة طبعا.

السيدة بوركمان: وهي فين دلوقتي؟

السيدة بوركمان:هي قاعدة في العربية مستنيانا.

إيرهارت:(محرجا) يا أمي ... أنتي أكيد فاهمة... ؟ أنا كنت عايز أوفر عليكي ... كل اللي بيحصل ده دي.

السيدة بوركمان:(تنظر إليه والألم يعتصرها) - يعني هو إنت كنت هتسافر من غير ما تودعني؟

إيرهارت: أيوه، أنا كنت شايف إن كده أحسن ، أحسن لينا احنا الاتنين. أنا كنت جهزت كل حاجة وحطيت الهدوم في الشنطة وبعدين لما طلبتي تشوفيني فا.... (يبسط يديه لها) مع السلامة يا أمي.

السيدة بوركمان: (ترفض، وتنفر منه) ماتلمسنيش!

إيرهارت: (بلطف) وده آخر كلام عندك ؟!! -

السيدة بوركمان:(بقسوة) أيوه.

إيرهارت: (يستدير) مع السلامة يا خالتي إيللا.

إيللا رينتهايم: (تضغط على يديه) مع السلامة يا إيرهارت! وعيش حياتك... عيش سعيد، سعيد... على قد ماتقدر!

إيرهارت: أشكرك يا خالتي. (ينحني لبوركمان) مع السلامة يا بابا .(يهمس للسيدة ويلتون) خلينا نمشي، دلوقتي أحسن وبسرعة.

السيدة ويلتون:(بصوت منخفض) أيوه، ياللا بينا.

السيدة بوركمان:(بابتسامة تحمل غلا) يا مدام ويلتون .... تفتكري صح إنك تاخدي البنت معاكي؟

السيدة ويلتون:(ترد ابتسامتها، بشيء من السخرية، وشيء من الجدية) الرجالة كل يوم في حال يا مدام بوركمان والستات كمان. ولما إيرهارت يمل مني... وأنا أمل منه... هيكون من مصلحتنا إحنا الاتنين إنه يلاقي حد يروحله.

السيدة بوركمان: طيب وإنتي ؟

السيدة ويلتون: إنتي عارفة كويس إني أقدر أرتب أموري! مع السلامة !

(تنحني وتخرج من باب غرفة المعيشة . يقف إيرهارت لحظة كما لو كان مترددا؛ ثم يستدير ليتبعها)

السيدة بوركمان:(تسقط يداها المعقودتان) يعني كده خلاص.. ابني راح مني.

بوركمان:(كأنه استيقظ من ثبات) خلّيني أطلع للعاصفة لوحدي! هاتيلي هانزل البرنيطة بتاعتي ! والبالطو بتاعي !

(يتجه نحو الباب)

إيللا رينتهايم:(بخوف، توقفه) إنت رايح على فين يا يون جابريال؟

بركمان: هاخرج للعاصفة. سامعاني؟ سيبيني أخرج يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(تمسك به) لأ، لأ، مش هاسيبك تخرج! إنت تعبان وباين عليك

بوركمان: باقولك سيبيني أخرج!

(يفلت منها ويخرج من باب غرفة المعيشة)

إيللا رينتهايم:(عند الباب) ساعديني عشان ألحقه يا جونهيلد!

السيدة بوركمان: (ببرود وقسوة وهي تقف في وسط غرفة المعيشة)أنا مش هامسك في حد،خلّيهم كلهم يمشوا ويسيبوني .مش عايزة أتمسك بأي حد في العالم. خللي الكل يسيبني.... واحد ورا التاني! يروحوا بعيد ... لأبعد مكان همّا عايزينه. (فجأة تطلق صرخة حادة) ماتسافرش يا إيرهارت.

(تجري ممدودة الذراعين نحو الباب. وتوقفها إيللا رينتهايم)

ستار

الفصل الرابع

(مكان مكشوف خارج مبنى المنزل الرئيسي الذي يقع جهة اليمين. وفي إحدى الزوايا يظهر جزءا من المبنى به باب المدخل وأمامه درج حجري منخفض. وفي خلفية المشهد تمتد أشجار التنوب الباسقة على منحدر حتى تصل إلى غابة صغيرة متناثرة الأشجار ناحية اليسار . العاصفة الثلجية انتهت منذ فترة إلا أن الأرض لا زالت مغطاة بطبقة كثيفة من الجليد و أشجار التنوب كذلك مثقلة بما تحمله من جليد. هواء الليل خانق والسحب تتدافع بكثافة ويلوح بين الفينة والأخرى بصيص شاحب من نور القمر.)

(يقف كل من بوركمان والسيدة بوركمان وإيللا رينتهايم على الدرج بالخارج، ويبدو على بوركمان الإعياء والتعب، ويستند خائر القوى إلى جدار المنزل، يضع على كتفيه عباءة قديمة الطراز ويمسك بإحدى يديه قبعة رمادية مصنوعة من اللباد الناعم وبالأخرى يمسك بعصا غليظة . تحمل إيللا معطفها على ذراعها، يظهر شعر السيدة بوركمان بعد أن انزلق شالها الكبير من على رأسها واستقر على رقبتها.)

إيللا رينتهايم: (تعترض طريق السيدة بوركمان) ما تروحيش وراه يا جونهيلد!

السيدة بوركمان: (بخوف وغضب) باقولك سيبيني أعدي! مش ممكن يسافر ويسيبني!

إيللا رينتهايم: باقولك مافيش فايدة! مش هتقدري تلحقيه .

السيدة بوركمان:خلليني أروحله يا إيللا! أنا هافضل أنادي عليه طول الطريق؟ وأكيد هايسمع صوت أمه!

إيللا رينتهايم: مش هيسمعك. هو خلاص ركب العربية....

السيدة بوركمان: لأ، لأ. مش ممكن يكون ركب العربية لسه!

إيللا رينتهايم: صدقيني هو ركب العربية من مدة.

السيدة بوركمان:(بإحباط) ركب العربية...يعني هو دلوقتي معاها هي، معاها.... معاها هي!

بوركمان:(يضحك بشكل مخيف) يبقى مش هايسمع صوت مامته وهي بتناديه.

السيدة بوركمان:لأ... مش هايسمع.(ينصت) هش! إيه ده؟

إيللا رينتهايم:(تنصت أيضا) زي صوت أجراس...

السيدة بوركمان: (بصرخة مكتوم) دي عربيتها!

إيللا رينتهايم: ويمكن تكون عربية حد تاني.....

السيدة بوركمان: لأ، لأ. دي عربية مدام ويلتون! أنا عارفة صوت أجراسها الفضية! اسمعوا! دول معديين من قدامنا دلوقتي... تحت هناك !

إيللا رينتهايم:(بسرعة) إذا كنت عايزة تنادي عليه فنادي عليه دلوقتي ! يمكن هو .....! يمكن هو....(يُسمع رنين الأجراس على مقربة، في الغابة) بسرعة يا جونهيلد! همّا دلوقتي قدامنا بيعدوا من - تحتنا الآن!

السبدة بوركمان:(تقف للحظة مترددة ثم تقول ببرود وقسوة) لأ، مش هانادي عليه، سيبي إيرهارت بوركمان يعدي خليه يروح بعيد للي بيسميه الحياة والسعادة.

(تتلاشى الأصوات)

إيللا رينتهايم: (بعد لحظة) ودلوقتي كمان صوت الأجراس راح خلاص.

السيدة بوركمان: ده أنا بيتهيألي إني سمعت أجراس جنازة.

بوركمان:(بضحكة جافة مكتومة) أوه...بس أجراس جنازتي لسه مادقتش لغاية دلوقتي!

السيدة بوركمان: يا حسرتي، بس الأجراس اللي دقت دي كانت بتاعتي أنا وبتاعة ابني اللي سافر وسابني.

إيللا رينتهايم:(تومىء ساهمة) مين عارف يمكن تكون الأجراس اللي دقتله دي هي أجراس الحياة يا جونهيلد!

السيدة بوركمان:(تنهض بسرعة وتنظر إليها بقسوة) بتقولي الحياة والسعادة!

إيللا رينتهايم: أيوه، يمكن لفترة قصيرة على الأقل.

السيدة بوركمان: وانتي عايزاه بقى يلاقي... الحياة والسعادة معاها هي؟

إيللا رينتهايم: (بدفء وحنان) أتمناله كده من كل قلبي!

السيدة بوركمان:(ببرود) يبقى أكيد مشاعر الحب اللي جواكي أقوي مني بكتير.

إيللا رينتهايم:(ساهمة) يمكن حرماني من الحب هو اللي بيقوي الإحساس ده جوايا

السيدة بوركمان: (تحملق فيها) لو كان الموضوع كده.... يبقى قريب قوي هيكون عندي مشاعر قد اللي عندك يا إيللا.

(تستدير وتدخل المنزل)

إيللا رينتهايم: (تقف لحظة وتنظر بقلق إلى بوركمان ثم تضع يدها بلطف على كتفه) ياللا يا يون، إنت كمان لازم تدخل.

بوركمان:(كأنه استيقظ من ثبات) أنا؟

إيللا رينتهايم: أيوه، إنت مش هاتقدر تستحمل هوا الشتا الساقع ده، باين عليك يا يون، ياللا ادخل معايا، في الدفا.

بوركمان:(بغضب) واطلع تاني للقاعة اللي فوق دي!

إيللا رينتهايم: لأ، يُستحسن تدخل جوه .

بوركمان:(ينهض غاضبا) مش هاحط رجلي تحت السقف ده مرة تانية!

إيللا رينتهايم: هتروح فين طيب؟ في الوقت المتأخر ده يا يون؟

بوركمان:(يرتدي قبعته) قبل أي حاجة هاروح أشوف كل كنوزي المستخبية.

إيللا رينتهايم: (تنظر إليه بقلق) أنا مش فاهماك يا يون.

بوركمان: (يضحك ضحكة يقطعها السعال) لا، أنا ماقصدتش حاجات مسروقة؛ ما تخافيش يا إيللا. بصي على الراجل اللي هناك ده! مين ده؟

(يظهر فيلهالم فولدال في زاوية أمام المنزل وهو يرتدي معطفا قديما وقبعة قديمة حافتها مطوية و يغطيهما الثلوج ويمسك بمظلة كبيرة. يمشي على الجليد بشق الأنفس وهو يعرج بقدمه اليسرى على نحو ملحوظ.)

بوركمان: يا فيلهالم! إنت عايز مني ايه ...؟

فولدال: (ينظر لأعلى) يا الله ! إنت ليه واقف على السلم يا يون جابريال؟!(ينحني) ومراتك كمان؟!

بوركمان: (باقتضاب) دي مش مراتي.

فولدال:أوه، آسف. أصل زي ما انتوا شايفين نضارتي وقعت في التلج ... وإنت ماكنتش بتخرج أبدا بره البيت.

بوركمان:(بلا مبالاة وبمرح) جه الوقت عشان أخرج للهوا تاني. أنا قعدت تقريبا تلات سنين في الحبس، و خمس سنين في الزنزانة، و تمن سنين في القاعة فوق و.....

إيللا رينتهايم:(بقلق) يا بوركمان، لو سمحت..... !

فولدال:آخ، أيوه، أيوه ، أيوه.....!

بوركمان: أيوه، بس أنا عايز أعرف إنت عايز مني إيه.

فولدال:(لا يزال يقف أسفل الدرج) كنت عايز أطلعك فوق يا يون جابريل . حسيت إني لازم أطلعلك فوق في القاعة. يا ساتر... ! أما قاعة!

بوركمان: كنت عايز تطلع للمكان اللي أنا طردتك منه؟

فولدال: ياه، يا ياربي! ده مش مهم.

بوركمان: رجلك جرالها ايه؟ أنا شايفك ماشي تعرج؟

فولدال: أه، تخيل... داست عليا عربية.

إيللا رينتهايم:أ وف ياخبر!

فولدال: دي كانت عربية بيجرها حصانين وبتجري بسرعة وماقدرتش أبعد عن طريقها بسرعة ...

إيللا رينتهايم: فداست عليك؟

فولدال: د است عليا يا هانم. تصوري.. يا آنسة . قربوا مني جدا وداست عليا لدرجة إني فضلت أتدحرج على الجليد ووقعت نظارتي وشمسيتي واتكسرت شمسيتي. (يدعك ساقه) ورجليا اتعورت كمان.

بوركمان: (يكتم ضحكة) وعرفت مين اللي كان قاعد في العربية دي يا فيلهالم؟

فولدال: لأ، كنت هاعرف إزاي؟ العربية كانت مقفولة والستاير نازلة حتى السواق ماوقفش لحظة واحدة لما شافني وقعت على الأرض....ولكن كل ده مايهمش عشان.....(بانفعال) عشان أنا مبسوط جد!

بوركمان: مبسوط ؟

فولدال: أيوه، مش عارف أسميها إيه. بس بيتهيألي لازم أسميها انبساط. عشان فيه حاجة غريبة حصلتلي! وماقدرتش أعمل حاجة تانية .... غير أني أعدي عشان تشاركني الفرحة دي يا يون جابريال.

بوركمان: (بضيق) ياللا خليني أشاركك في فرحتك.

إيللا رينتهايم: بس خللي صاحبك يدخل الأول يا بوركمان.

بوركمان:(بحدة) قلتلك أنا مش هادخل البيت ده.

إيللا رينتهايم: هو انت ماسمعتش إن العربيه داسته!؟

بوركمان:أوه، ما كلنا إنداس علينا ... مرة في عمرنا. ولازم الواحد يقوم يقف تاني ويتصرف كأن مافيش حاجة حصلت.

فولدال: ده كلام عميق يا يون جابريال بس أنا أقدر أقولك الخبر بسرعة برة هنا.

بوركمان: (بمزيد من اللطف) طيب . قول يا فيلهالم.

فولدال: طيب، اسمع ! تخيل .... أنا لما رجعت من عندك بالليل.... لقيت جواب.... تقدر تخمن مين بعته؟

بوركمان: يمكن من بنتك الصغيرة فريدة؟

فولدال: بالظبط! مش مصدق إنك عرفت على طول بسرعة كده! أيوه، كان جواب طويل... طويل جدا من فريدة. جابهولي واحد من الخدامين . تقدر تخمن كتبت فيه إيه؟

بوركمان: يمكن كان جواب وداع ليك ولأمها؟

فولدال: بالظبط! غريبة إنك خمنت ده كمان يا يون جابريال. هي كتبت إن مدام ويلتون كانت لطيفة جدا معاها ودلوقتي هتسافر مع الهانم بره عشان تدرس موسيقى.وكمان مدام ويلتون هاتاخد معاها مدرس شاطر في الرحلة هايعلم فريدة لأنها للأسف فيه حاجات مابتعرفش تعملها. فاهمني طبعا.

بوركمان:(يضحك ضحكات مكتومة) أيوه، طبعا أنا فاهم كل حاجة كويس جدا يا فيلهالم.

فولدال:(يواصل في حماس) وتخيل هي ما كانتش تعرف حاجة عن السفرية دي إلا امبارح بالليل. وده حصل في الحفلة إياها اللي انت عارفها.هه! ورغم كده لحقت تكتبلنا رسالة. وماتتصورش الحب والحنية والرقة والدفا اللي في الجواب . أنا بأكدلك. ماكنش فيها أي لوم لأبوها. وكانت لمسة لطيفة إنها تودعنا برسالة قبل ما تسافر. (يضحك) بس أكيد أنا مش هاسيبها تسافر بالطريقة دي!

بوركمان:(ينظر إليه متسائلا) هتعمل إيه يعني؟

فولدال: هي كتبت إنهم هايسافروا الصبح بدري، بدري جدا.

بوركمان: فعلا، فعلا...بكرة؟ هي كتبت كده؟

فولدال:(يضحك ويفرك يديه) أيوه، بس أنا عندي خطة. أنا هاروح دلوقتي لمدام ويلتون.....

بوركمان: الليلة دي؟

فولدال: أه، طبعا ! ماهو الوقت مش متأخر قوي كده . ولو قفلوا الأبواب هاضرب الجرس. أصلي لازم أروح أشوف فريدة قبل ما تسافر. تصبحوا على خير!

(يهم بالخروج)

بوركمان: اسمع يا فيلهالم يا غلبان، .... مافيش داعي تمشي المشوار المتعب ده كله.

فوالدال: ياسلام؟ ، ليه أ نت تقصد عشان رجلي.....

بوركمان:أيوه، وكمان إنت مش هاتقدر تدخل بيت مدام ويلتون.

فولدال: لأ، هادخل، وهافضل أضرب الجرس لغاية ما حد يفتحلي الباب ولازم أشوف فريدة قبل ما تسافر .

إيللا رينتهايم: بنتك سافرت خلاص يا أستاذ فيلهالم.

فوالدال:(يقف مصدوما) إيه؟ فريدة سافرت فعلا!؟ إنت متأكد؟ مين قالك؟

بوركمان: مدرّسها هو اللي قال لنا.

فولدال: بجد؟ وهويبقى مين بقى؟

بوركمان: الطالب إيرهارت بوركمان.

فولدال:(بفرحة عارمة) إبنك يا يون جابريل !؟ معقول هو اللي هيسافر معاهم؟

بوركمان: أيوه، هو اللي هيساعد مدام ويلتون في تعليم فريدة الصغيرة.

فولدال: طيب،الحمد لله! يبقى بنتي في إيد أمينة. بس إنت متأكد إنها سافرت فعلا؟

بوركمان: هي سافرت معاهم في العربية اللي داستك على الطريق.

فوالدال:(يصفق بيديه) تصور بنتي الصغيرة فريدة كانت قاعدة في العربية الفخمة دي!

بوركمان:(يوميء) أيوه، أيوه يا فيلهالم. بنتك بقت بتركب عربيات فخمة دلوقتي والطالب بوركمان كمان..... إنت أخدت بالك من الأجراس الفضية؟

فولدال: بجد! إنت قلت فضية؟ هي أجراس فضية؟ أجراس فضية أصلية.؟

بوركمان: هي كده فعلا. كل حاجة حقيقية من جوة ومن برة!

فولدال:(بمشاعر فياضة) مش حاجة غريبة إن الحظ يجي للإنسان ويفوز بالسعادة دي! موهبتي .... موهبتي البسيطة اتحولت للموسيقى عند فريدة. يبقى موهبتي في الشعر ماراحتش هدر. ودلوقتي جاتلها الفرصة تسافر للعالم الواسع اللي حلمت في يوم من الأيام إني أشوفه. وكمان فريدة الصغيرة مسافرة في عربية مغلقة على سرجها أجراس فضة .....

بوركمان: ...وداست على أبوها.....

فولدال:(مبتهجا) وإيه يعني! أنا مش مهم..... المهم بنتي....! أنا كده كده جيت متأخر قوي. وهاروح البيت عشان أطبطب على أمها اللي عمّالة تعيط في المطبخ.

بوركمان: بتعيط؟

فولدال:(يضحك ضحكات قصيرة) أيوه، تخيل... أنا لسة سايبها عمالة تعيط.

بوركمان: وإنت بتضحك يا فيلهالم.

فولدال: أيوه، أنا باضحك. بس أمها الغلبانة مش فاهمة. طيب. مع السلامة دلوقتي ! على الأقل كويس إن العربية كانت قريبة مني قوي كده. مع السلامة يا يون جابريال.... مع السلامة يا آنسة.

(ينحني ويمشي بمشقة من الطريق الذي أتى منه)

بوركمان:(يقف لحظة صامتا وساهما) مع السلامة يا فيلهالم! دي مش أول مرة في حياتك حد يدوسك يا صاحبي العجوز.

إيللا رينتهايم:(تنظر إليه بقلق مكبوت) إنت وشك أصفر، أصفر قوي يا يون....

بوركمان: ده من تأثير هوا السجن اللي فوق.

إيللا رينتهايم: أنا عمري ماشفتك في الحالة دي قبل كده.

بوركمان: عشان إنتي ما شفتيش قبل كده مسجون بيخرج من سجنه.

إيللا رينتهايم: أوه، يالا يا يون ادخل معايا البيت!

بوركمان: بطلي تغريني . أنا قلتلك إني....

إيللا رينتهايم: عشان خاطري ..أنا باترجاك؟ عشانك إنت ....

(تخرج الخادمة وتقف عند الدرج)

الخادمة: بعد إذنكم ، المدام أمرتني أقفل بوابة البيت دلوقتي.

بوركمان: (بصوت أخفت لإيللا) سمعتي؟ دلوقتي عايزين يحبسوني جوه تاني!

إيللا رينتهايم:(للخادمة) مدير البنك تعبان شوية وعايز يشم شوية هوا الأول.

الخادمة: أيوه، لكن الهانم قالتلي إني...

إيللا رينتهايم: هاقفل أنا الباب. سيبي بس المفتاح وأنا ...

الخادمة: حاضر. هاسيب المفتاح.

(تدخل المنزل ثانية)

بوركمان:(يقف صامتا برهة وينصت وينزل بسرعة إلى الفضاء المفتوح) أنا أهو بره السور يا إيللا! مش هايقدروا يمسكوني تاني!

إيللا رينتهايم:(تنزل إليه) بس إنت راجل حر جوه يا يون. تقدر تدخل وتخرج زي ما إنت عايز.

بوركمان:(بصوت منخفض وكأن الرعب أصابه) مستحيل أعيش تحت السقف ده مرة تانية! الليل بره هنا أحسن بكتير من جوه. لو طلعت فوق للقاعة دلوقتي... هاتنطبق عليا الحيطان والسقف -... وهايفعّصوني زي الدبانة.....

إيللا رينتهايم: لكن هتروح فين؟

بوركمان: أنا عايز أفضل ماشي، ماشي، ماشي. وهاحاول أوصل تاني للحرية والحياة والناس، تمشي معايا يا إيللا؟

إيللا رينتهايم: أنا، دلوقتي؟

بوركمان:أيوه، أيوه..ياللا تعالي..حالا!

إيللا رينتهايم: لكن هانروح لغاية فين؟

بوركمان: لأبعد حاجة أقدر أوصلها.

إيللا رينتهايم: أه، طيب راجع نفسك . هتقدر تقعد بره في ليلة زي دي ... شتا وبرد ومطر...

بوركمان:(بصوت أجش) آه..غالبا الآنسة خايفة على صحتها. طبعا، طبعا...عشان صحتها على قدها .

إيللا رينتهايم: لا صدقني أنا قلقانة على صحتك إنت.

بوركمان: هاهاها! صحة رجل ميت! كلامك ده بيضحكني عليكي يا إيللا!

(يواصل السير)

إيللا رينتهايم:(تتبعه وتمسك بيده) إنت قلت إيه؟ إنك راجل إيه؟

بوركمان:قلت أنا راجل ميت. إنتي مش فاكرة جونهيلد لما قالتلي خليك نايم هادي زي ما أنت ؟

إيللا رينتهايم: (بعزم، وترتدي معطفها) طيب أديني هامشي معاك يا يون.

بوركمان: أيوه احنا الاتنين مالناش غير بعض، ياللا بينا!

(بعد قليل يصلان إلى الغابة، جهة اليسار. ويختفيان رويدا رويدا داخل الغابة حتى يغيبا عن الأنظار . يختفي المنزل والفضاء المفتوح. ويتغير المنظر الطبيعي الذي يتشكل من المنحدرات التي يكسوها أشجار ويتغير المشهد ببطء ويصبح بريا أكثر فأكثر.)

يسمع صوت إيللا رينتهايم يسمع في الغابة، جهة اليمين: إحنا رايحين على فين يا يون؟ أنا ماعرفش الطريق هنا .

يتصاعد صوت بوركمان: بس إنتي .. خلليكي ورايا بس!

صوت إيللا رينتهايم: بس ليه لازم نطلع فوق قوي كده؟

صوت السيد بوركمان: ما إحنا لازم نطلع لغاية الممشى.

صوت إيللا رينتهايم:(مازالت مختفية عن الأنظار) ياه خلاص ، كفاية ماعدتش قادرة أمشي أكتر من كده.

بوركمان:(في الغابة، جهةاليمين) ياللا، ياللا! إحنا قربنا على المكان اللي فيه المشهد اللي عايز أوريهولك. زمان كان فيه دكة هناك فوق-.

إيللا رينتهايم:(تخرج من بين لأشجار) إنت فاكرها ؟

بوركمان: أيوه ..هتقدري تستريحي هناك.

(يصعدان فوق تبة عالية عريضة في الغابة وإلى الخلف منهما الجبل. وإلى اليسار، بعيدا في الأسفل، هناك الفيورد الممتد إلى الوراء، مع سلاسل جبال عالية تمتد على المدى البعيد. ويغطي التبة، إلى اليسار، جليد متراكم وفوقها شجرة تنوب ذابلة وتحتها مقعد.)

(يدخل كل من بوركمان وإيللا رينتهايم من اليمين وهما يجتازان الجليد بصعوبة.)

بوركمان:(يقف عند حافة المنحدر جهة اليسار) تعالي يا إيللا،هاوريكي.

إيللا رينتهايم:(تتوجه إليه) عايز توريني إيه يا يون؟

بوركمان:(يشير للخارج) إنتي شايفة أرض البلد وهي مفتوحة ومكشوفة قدامنا.... ومفتوحة على بعضها إزاي؟

إيللا رينتهايم: ياه..ياما قعدنا على الدكة دي زمان... وكنا بنبص لبعيد قوي، على قد ما نقدر.

بوركمان: أيوه..كنا بنبص ساعتها على أرض أحلامنا.

إيللا رينتهايم: (تومىء بحزن) أيوه فعلا، كانت الأرض حلم حياتنا، ودلوقتي التلج مغطيها.... والشجرة العجوزة ماتت.

بوركمان:(دون أن ينصت إليها) شايفة السفن اللي هناك في الفيورد وطالع منها الدخان؟

إيللا رينتهايم: لأ.

بوركمان: بس أنا شايفها....وهي رايحة جاية بتنشر الحب في أنحاء العالم وبتنشر النور والدفا في أرواح البشر وفي آلاف البيوت. وده اللي أنا كنت باحلم أعمله.

إيللا رينتهايم:(بهدوء) لكن للأسف ده فضل مجرد حلم.

بوركمان:أيوه، فضل حلم.(ينصت) ودلوقتي اسمعي الصوت اللي جاي من تحت هناك عند النهر اللي بيجري! ده صوت المصانع اللي شغالة هناك! مصانعي أنا! كل المصانع اللي كنت أنا عايز أبنيها! اسمعي! اسمعي ـ شغالة إزاي، وبيشتغلوا ليل نهار.اسمعي! العجلات بتدور والتروس بتنور..... وبتدور، وتدور! هو إنتي مش سامعاها يا إيللا ؟

إيللا رينتهايم: لأ.

بوركمان: بس أنا سامعها .

إيللا رينتهايم:(بقلق) بيتهيألي إنك غلطان يا يون.

بوركمان:(بحماس متزايد) أوه، لا.. بس كل ده..... كل ده تحصينات حوالين المملكة، لازم تعرفي كده!

إيللا رينتهايم: بتقول مملكة؟ مملكة إيه....؟

بوركمان: مملكتي طبعا! المملكة اللي كنت... هاحكمها قبل ما أموت.

إيللا رينتهايم:(ترتجف وبصوت أخفت)أوه إيه ده؟، يا يون. يايون جرالك إيه !

بوركمان: ودلوقتي ....هي معزولة عن العالم من غير حاكم، مهجورة ومعرضة للسرقة والنهب ، إنتي شايفة يا إيللا الجبال اللي بعيدة دي. جبل ورا جبل طالعين لفوق، هي دي بقى مملكتي الأبدية!

إيللا رينتهايم: بس فيه هوا بارد جاي من المملكة دي يا يون!

بوركمان: ده بالنسبة ليا هوا الحياة. الهوا ده زي مايكون تحية من الأرواح اللي في العالم اللي تحت ، وأنا زي ما أكون بالمس الملايين من الأرواح وحاسس بعروق المعادن وهي بتمد دراعاتها ناحيتي وهي بتتلوى وبتتفرع وبتغريني. أنا شايفها قدامي زي ما تكون أشباح رجعت للحياة.... وفي الليلة اللي وقفت فيها في خزانة البنك في البدروم وأنا ماسك الكشاف في ايدي، المعادن كانت بتترجاني عشان أحررها وأفك سجنها، وحاولت وفشلت. وغرق الكنز تاني في الأعماق.(يبسط يديه) لكن أنا هافضل أوشوشهم هنا في هدوء الليل وأقولهم: أنا باحبكم يا مذهلين وانتوا في الأعماق الضلمة دي ! وباحبكم يا كنوز ياللي بتتمنى تشوف الحياة مليانة عز وقوة ومجد. باحبكم .... باحبكم....باحبكم.

إيللا رينتهايم:(في هياج مكبوت ولكنه متزايد) أيوه، حبك لسه موجود تحت هناك يا يون وجذوره كانت هناك طول عمرها ، لكن هنا فيه نور النهار كان فيه قدامك قلب بشري دافي بينبض بالحياة وبيدق بحبك. القلب ده إنت دست عليه! وأكتر من كده ، أسوأ مية مرة ـ. إنت بعته عشان خاطر ...عشان خاطر...

بوركمان: (يهز رأسه وهو يرتعد) عشان المملكة... عشان السلطة... عشان المجد ... هو ده اللي تقصديه؟

إيللا رينتهايم: أيوه، ده قصدي . أنا قلتلك مرة قبل كده الليلة دي إنك قتلت الحب جوه الست اللي حبتك واللي إنت كنت بتحبها ده لو كنت أصلا بتعرف أو تقدر تحب أي حد.(ترفع ذراعيها) ودي نبوئتي ليك يا يون: مش هتقبض تمن جريمتك أبدا. مش هتمشي في موكب النصر لمملكتك الباردة المضلمة.

بوركمان:(يمشي مترنحا إلى المقعد ويجلس بصعوبة) أنا خايف نبوءتك تتحقق يا إيللا.

إيللا رينتهايم:(تتجه إليه) ماتخافش يا يون، دي أحسن حاجة ممكن تحصلك.

بوركمان: (تنبعث منه صرخة ويمسك بصدره) آه...! (بضعف) دلوقتي جت نهايتي.

إيللا رينتهايم:(تهزه) - مالك يا يون؟فيه إيه ؟

بوركمان: (ينزلق في المقعد) فيه إيد من التلج مسكت قلبي.

إيللا رينتهايم: يون! هو إنت حاسس بإيد من التلج دلوقتي؟

بوركمان: (يتمتم) لأ...دي مش إيد من التلج .... دي إيد من المعدن.

(ينزلق في المقعد)

إيللا رينتهايم:(تخلع معطفها وتلقي بها عليه) خلّيك نايم زي ما أنت في مكانك! هاروح أجيب النجدة.

(تمشي بضع خطوات إلى اليمين ثم تتوقف وتعود وتتحسس نبضه وتلمس وجهه.)

إيللا رينتهايم:(برقة وثبات) طيب، ده أحسنلك يا يون بوركمان.

(تلفه بالمعطف وتركع على الجليد أمام المقعد. صمت قصير)

(تقبل السيدة بوركمان وهي ترتدي معطفها عبر الغابة، جهة اليمين، والخادمة تسبقها حاملة مصباح.)

الخادمة: (تلقي بالضوء على الجليد) بصّي، بصّي يا هانم. دي علامات رجليهم.

السيدة بوركمان:(تمعن النظر فيما حولها) أيوه، همّا هناك أهم. قاعدين على الدكّة هناك. (تهتف) يا إيللا!

إيللا رينتهايم:(تنهض) إنتي بتدوري علينا؟

السيدة بوركمان:(بجفاء) أيوه، كان لازم أدور.

إيللا رينتهايم:(تشير) أهو نايم هناك أهو.

السيدة بوركمان: نايم؟

إيللا رينتهايم: (تومىء) بيتهيألي إنه هينام نوم طويل وعميق.

السيدة بوركمان: (بانفعال) إيللا! (تتماسك وتسأل بصوت أخفت) هو ده حصل .... بإرادته؟

إيللا رينتهايم: لأ.

السيدة بوركمان:(تتنهد براحة) يبقى ده ماحصلش بمحض إرادته.

إيللا رينتهايم: لأ. كان فيه إيد من المعدن مسكت قلبه.

السيدة بوركمان:(للخادمة) روحي اطلبي النجدة. هاتي الناس اللي في العزبة.

الخادمة: حاضر يا هانم. (بصوت منخفض) ياربي...

(تخرج من الغابة ، جهة اليمين)

السيدة بوركمان:(تقف بجوار المقعد) يبقى هوا الليل قتله....

إيللا رينتهايم: تقريبا كده.

السيدة بوركمان:.. معقول ده يحصل للراجل - القوي ده.

إيللا رينتهايم:(تتقدم وتقف بجوار المقعد) مش عايزة تبصّي عليه يا جونهيلد؟

السيدة بوركمان: (باستهجان) لأ، لا، لأ. (بصوت أخفت) كان ابن عامل من عمال المناجم.... كان مدير بنك وماقدرش يتحمل الهوا هنا بره .

إيللا رينتهايم: لأ، البرودة تقريبا هي اللي قتلته.

إيللا رينتهايم:(تهز رأسها) بتقولي البرودة؟ لو البرودة... كانت قتلته من زمان.

إيللا رينتهايم:(تومىء لها) وخلّت كل واحدة مننا احنا الاتنين مجرد أشباح.

السيدة بوركمان:عندك حق.

إيللا رينتهايم:(بابتسامة تنم عن ألم) واحد راجل ميت وشبحين ... هو ده اللي عملته فينا البرودة.

السيدة بوركمان:أيوه، برودة القلب... بيتهيألي نقدر دلوقتي نسلم على بعض يا إيللا.

إيللا رينتهايم: بيتهيألي دلوقتي نقدر.

السيدة بوركمان:إحنا الأختين التوأم... بنسلّم على بعض فوق جثة الراجل اللي إحنا الاتنين حبّناه.

إيللا رينتهايم: إحنا الشبحين ... فوق جثة رجل ميت.

(تقف السيدة بوركمان خلف المقعد الطويل بينما تقف إيللا رينتها يم أمامها و تمسك كل واحدة بيد الأخرى)

ستار النهاية